السبت 28 تشرين الثاني 2020
العدد 4210 السنة الخامسة عشرة
Samedi 28 Novembre 2020 no4210 15ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

بوب كوفمان
شاعر البذاءة المقدّسة

عون يقطع الطريق على سلامة: ممنوع إلغاء الدعم [4]

مجلس النوّاب يدفن التدقيق الجنائي [2]

بقدر الخسارة الإيرانية، تأتي الفائدة الإسرائيلية جزاء اغتيال فخري زادة (في الإطار)، على رغم أن الاستهداف لن يؤثر على تقدّم برنامج طهران النووي (أ ف ب)

«إسرائيل» في الوقت الضائع

اعتداء أمنيّ في طهران

[10 ـ 11]

تقرير

«ثورة» القضاة والمحامين: **على «الداخليّة»... لا لتنظيف العدليّة!**

4

تحقيق

من 500 مصنع إلى خمسة
هكذا ماتت صناعة الأحذية

6

رحيل

الصادق المهديّ
الإمام القلِق

12

قضية اليوم

مجلس النوّاب يدفن التدقيق الجنائي

أقام المجلس النيابي رسمياً يوم أمس مراسم دفن التدقيق الجنائي وأي أمل بتنفيذ أي إصلاح مالي ونقدي تمهيداً لإعادة النهوض باقتصاد الدولة ومؤسساتها. هكذا، شرع المجلس البلد، تحت عنوان حرصه على مصيره، أمام الإفلاس والفوضى. زايدت الكتل النيابية بعضها على بعض بتوسيع دائرة التحقيقات لتشمل كل مؤسسات الدولة، لا مصرف لبنان فقط، لكنها لم تصدق «كذبتها» فانتهت بإقرار توصية غير ملزمة لإخضاع الكل للتدقيق

رلى إبراهيم

تكررت العبارة على مدى ساعتين من انعقاد الجلسة النيابية لمناقشة رسالة رئيس الجمهورية ميشال عون يوم أمس: «هذه الجلسة مصيرية». قالها رئيس مجلس النواب نبيه بري وغالبية النواب. كان يفترض إذاً أن يعكس قرار المجلس النيابي الأهمية التي يبديها لمسألة رفع السرية المصرفية عن حسابات مصرف لبنان، بعد رفض حاكمه رياض سلامة التجاوب مع مطالب شركة التدقيق الجنائي «الفاريز إند مارسال». لكن ما قُدّم على أنه يحدد مصير البلد انتهى

أشار الجسر إلى أن سلامة سلّم وزني كل المستندات، إلا أن الأخير امتنع عن تسليمها للشركة

طالب الاشتراكي بالكفّ عن خداع الناس ومصارحتهم بأن التحقيق سيأخذ شهوراً وربما سنوات

بإقرار «توصية» بإخضاع مصرف لبنان والوزارات والمجالس والمؤسسات المالية والصناديق والبلديات كافة بالتوازي للتدقيق الجنائي من دون أي عائق أو تذرع بالسرية المصرفية. وفي اللغة القانونية، ليست التوصية سوى فولكلور لا يمكن صرفه سوى في الإطار الشعبوي، للتغطية على رغبة حماة سلامة بإعفائه من المحاسبة. إذ كيف لمن أعطى الذريعة لحاكم مصرف لبنان وكل المبررات لتمرّده على الدولة، وأمّن له ولجمعية المصارف خروجاً آمناً من تحمّل المسؤولية، أن يكون هو نفسه من سيلزمه بالخضوع للتدقيق الجنائي. ذلك يؤكد مرة أخرى أن من أوقعوا البلد

(هيثم الموسوي)

في الانهيار نتيجة مشاركتهم بكل الموبقات المالية والنقدية المرتكبة على مدى سنوات، بالتواطؤ مع حليفيهما الرئيسيين رياض سلامة والمصارف، ليسمحوا بالدخول الى مغارتهم لإصلاح ما ارتكبوه. فكان «أرنب» خلاصهم يوم أمس، توسيع التدقيق ليشمل كل مؤسسات الدولة ووزاراتها وصناديقها، بالتوازي مع التدقيق في حسابات المصرف المركزي، ضاربين عصفورين بحجر: إمرار مسرحية تبرئة ذمم أصدقاء الحاكم، والمزايدة على المطلب الأساسي تمهيداً لتطييره لمعرفة أركان النظام المسبقة استحالة تنفيذ هذه القرارات، لا لشيء سوى أنهم أنفسهم سيحولون دون الدخول الى هياكل الإدارات. لذلك يبدو هذا المطلب سوريالياً وغير ذي جدوى. فالوزارات والمؤسسات العامة تخضع للمحاسبة عبر أجهزة الرقابة الممثلة بديوان المحاسبة والتفتيش المركزي وللنيابات العامة المالية والتمييزية ومجلس الخدمة المدنية. كما أن كل حسابات الدولة، التي أنجزتها وزارة المالية في عهد الوزير علي حسن خليل، موجودة في ديوان المحاسبة، ولا يحتاج التدقيق فيها إلى شركة عالمية، ولا إلى قانون خاص. ولا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنة الوزارات والإدارات بإمبراطورية رياض سلامة غير القابلة للمسّ، إذ يتعذر على أي جهاز أو أي سلطة، إن كانت تنفيذية أو تقريرية أو قضائية الاطلاع على الحسابات المتبادلة بين مصرف لبنان والمصارف بخلاف حسابات الدولة المالية وحساباتها مع المصرف المركزي. وهذا دليل إضافي على النية الكامنة وراء «تكبير الحجر» لتحوير الأنظار عن القضية الرئيسية، أي تمرّد سلامة على قرارات الحكومة والقانون، للحؤول دون الكشف عن وجهة هدر الأموال وكيف تبخرت ودائع الناس، ومن المستفيد الأول من هذا المخطط الاحتيالي. هكذا، اكتفى رئيس مجلس النواب بإقرار توصية في ظرف دقيقة واحدة، ومن دون نقاش حول جدواها أو تعيين موعد لجلسة تشريعية حتى يصار الى إرفاق هذه التوصية بالبيات قانونية ملزمة. لكن لا همّ. رفع النواب أيديهم عالياً وسط تصفيق حادّ، فالكلّ يبصم على التدقيق الجنائي ويريد معرفة الحقيقة، فيما خرج بعضهم مباشرة لزفّ الإنجاز الوهمي الى وسائل الإعلام والناس. وجرى تجاهل ثلاثة مشاريع قوانين مقدمة الى المجلس في هذا الخصوص، أحدها من كتلة الرئيس بري، والمشروعان الآخران من حزب القوات واللقاء التشاوري. فأعاد مجلس النواب كرة رئيس الجمهورية الى الحكومة التي يفترض بها التفاوض مجدداً مع شركة التدقيق لحثّها على الرجوع عن «استقالتها»، أو تعيين شركة تدقيق جديدة لتدخل مجدداً في نفق سلفها. بمعنى آخر، أطاح حزب المصارف مجدداً التدقيق الجنائي وأي أمل بإجراء إصلاحات في النظام النقدي والمالي، مشرّعاً البلاد التي ادّعى حرصه على مصيرها أمام الانهيار التام والفوضى الشاملة.

السيد: لا شأن لنا بخلاف بين الحكومة وموظّف

تناول النائب جميل السيد ملف التدقيق الجنائي بمقاربة مختلفة عن مقاربة زملائه، معتبراً أن «السلطة التنفيذية تشكو إلينا رفض موظف تنفيذ قرارها، ونحن كمجلس نيابي لا شأن لنا بهذا النوع من الخلافات». وأشار الى أنه يمكن للحكومة إصدار قرار ملحق يلزم حاكم مصرف لبنان بالتقيد به، وهو قرار تكميلي ينسجم مع تصريف الأعمال». وسأل: «هل حاكم مصرف لبنان هو إله؟ من يكشف له السرية المصرفية غير السلطة التي عينته»؟ وعدّد أسباب إقالة الحاكم: «وضع صحي أو إخلال وظيفي أو خطأ فادح. كان يقول لنا إن الليرة بألف خير، وفجأة خربت الدني». ووصف رسالة رئيس الجمهورية إلى المجلس النيابي بأنها دستورية في الشكل، لكنها في المضمون «كب مشكلة. وهذه فكرة خاطئة من أحد مستشاريه مثل أرسطو. واجباتنا الرد على هذه الرسالة، فكل القوانين تسمح للحكومة بأن تتصرف أنا ضد مشاريع اقتراحات القوانين. منذ عشرة أشهر، نضيّع الوقت وعلينا أن نحمّل المسؤولية للحكومة. ونرى أن هذا الموضوع هو مسؤولية الحكومة كونه يرتبط بموظف كبير. هناك آلية للمحاسبة والتدقيق. والمطلوب تنفيذ القانون وليس اختراع قوانين جديدة».

سعادة ينعت سلامة بـ«الصرمايّة»

كالعادة، شرح النائب سليم سعادة المشهد العام بطريقة طريفة، مستحضراً كل أبطال المافيا لوصف رياض سلامة. وقال إن التزوير والاختلاس يمكن كشفهما بالتدقيق المحاسبي العادي، أما الاحتيال فلا ينفضح إلا عبر التدقيق الجنائي. والاحتيال هو من أدخل «بونزي» و«ال كابون» الى السجن. في حالتنا، بدلاً من أن «يطفّش» المحقق، أي التدقيق الجنائي، المجرم، قام المجرم بـ«تطفيش» المحقق. ومصرف لبنان هو «دون كورليوني» المصارف وهو الذي مدّهم بالهندسات المالية والقروض المدعومة. كل ذلك احتيال. ودعم السلع احتيال لا يؤدي سوى الى دعم التاجر. وعقّب سعادة واصفاً رسالة عون بالقول: «لَما فخامة رئيس البلاد بيشتكي عموظف بيسوى صرمايّة»، فاعترض الرئيس نبيه بري على قوله.

العناوين البزاقة

في متن الجلسة التي لم تنقل مباشرة على الهواء، حصلت مداخلات من كل الكتل النيابية وبعض النواب المستقلين. الجدير بالذكر هنا أن غالبية الكتل تحدثت عن قوانين أو تشريعات تسمح برفع السرية المصرفية لمدة مؤقتة، باستثناء التيار الوطني الحر الذي طالب بتوصية قبيل إقرارها من قبل بري. فالنائب محمد رعد الذي تحدث بالنيابة عن كتلة الوفاء للمقاومة، أعلن «تأييد الكتلة إجراء التدقيق المحاسبي الجنائي في مصرف لبنان، وموافقتها على أن ينسحب الى سائر مرافق الدولة العامة». وأكد أنه في حال «كانت السرية المصرفية هي الذريعة التي تحول دون تسليم المستندات والمعلومات المطلوبة للتدقيق الجنائي وفق القوانين النافذة، فإننا نقترح إقرار استثناء موضعي ومؤقت في قانون يعالج هذا المانع الراهن، فهذا أسهل وأسرع تدبير لمعالجة هذه الثغرة». أما النائب في تكتل «لبنان القوي» إبراهيم كنعان، فدعا الى «موقف استثنائي يتجاوز الجدل القانوني المشروع ويؤمن للبنانيين حقهم في معرفة مصير ودائعهم، من خلال توصية تدعو الى الاستجابة لمضمون رسالة فخامة الرئيس بالدعوة الى استكمال التدقيق الجنائي في مصرف لبنان، تمهيداً لتعميمه على كل مؤسسات وإدارات الدولة». وكان لافتاً الاستنتاج الذي خلص إليه النائب في كتلة المستقبل سمير الجسر، الذي أشار الى أن «المصرف سلّم بعض المستندات التي لا تشملها السرية المصرفية بدون تحفظ. أما المستندات التي يعتبرها محكومة بهذه السرية، فقد سلمها إلى الدولة من خلال وزارة المالية، تاركاً للوزارة أن تتحمل مسؤولية تسليمها للتدقيق. فتوقف الوزير عن تسليمها حتى لا يتحمل وحده هذه المسؤولية». وهذا يعني أن مصرف لبنان لم يتمنّع عن تسليم المستندات، بل سلّمها إلى الدولة من خلال وزارة المالية لتتحمل هي مخالفة قانون السرية المصرفية. ويتبيّن من رسالة الرئيس أن الشركة أنهت العقد لأن لديها نقصاً في اليقين من أن هذه المستندات ستكون متوافرة». كلام الجسر استدعى محاولة رد من وزير المالية غازي وزني، من دون أن ينجح نتيجة عدم موافقة رئيس المجلس على طلبه. لاحقاً، ردّ النائب علي حسن خليل بالنيابة عن وزني، مؤكداً أن كل ما أحيل الى وزير المالية وضعه بتصرف الشركة ولم يخفِ شيئاً عنها. وكان الجسر قد تابع كلمته قائلاً إن «الموقف الطبيعي والدستوري الذي يستطيعه المجلس هو إصدار تشريع يقرر التدقيق المحاسبي والجنائي في أعمال مصرف لبنان مع تعليق العمل بقانون السرية المصرفية في ما يتعلق فقط بمصرف لبنان ولمدة محدودة».

بدوره، النائب في كتلة اللقاء الديموقراطي هادي أبو الحسن وصف ما يتم بحثه بعملية تضليل للناس عبر طرح عناوين جذابة براقة مثل «أموال المودعين واستعادة الأموال المنهوبة، فيما القصد هو تصفية حسابات. وطالب بمصارحة الناس: «أخبروهم بأن التحقيق سيستغرق أشهراً وربما سنوات والبلد لا يحتمل أكثر من شهرين أو ثلاثة».

«وقاحة» سلامة

حزب القوات اللبنانية كرّر، عبر النائب جورج عدوان، موقفه بأن قرار الحكومة التدقيق الجنائي في حسابات مصرف لبنان، «لا تشوبه شائبة، وما فعلته كان عملاً عظيماً (...) لكنه اصطدم بادّعاء سلامة استقلاليته التي من المفترض أن نهنّئه عليها لأن الليرة والودائع بالف خير!». وقال عدوان إن أي دولة لن تساعد لبنان من دون التدقيق الجنائي، لذلك يجب «تأييد رسالة رئيس الجمهورية والسير في التدقيق الجنائي في المصرف كبداية ومنطلق لكل المؤسسات»، ما دفع بري إلى مقاطعته: «ليش بعدين»، فأردف عدوان أنه مع توسيع التدقيق، مطالباً الحكومة بالعجلة لتكليف شركة جديدة والتحقق من صحة الادعاءات حول الشركات التي أبعدت تحت عنوان التعامل مع إسرائيل. أما النائب في كتلة التنمية والتحرير علي حسن خليل فرفع الصوت عالياً، معلناً أن شعار الكتلة «لا غطاء على أحد ولا سرية ولا تغطية على من سرق أو أهدر المال العام، ولا يجب أن يكون هناك محظورات». استتبعها بطلب عدم إصدار بيان تأييدي لرسالة عون، بل إصدار قانون واضح يُخضع كل الإدارات للتدقيق الجنائي سواسية. إلا أن رئيس كتلته ورئيس مجلس النواب لم يلتزم برأي «التنمية والتحرير»، فاقترح إقرار مجرد توصية. من جهته، تحدث النائب فؤاد مخزومي عن وقاحة سلامة في الذهاب الى باريس للطلب من البنك المركزي الفرنسي التحقيق في حساباته: «بأيّ صفة يعطي لنفسه الحق بتكليف دولة ثانية في التحقيق لدينا؟ لمن تابع هيدا الشاب؟». من جانبه، سأل النائب جهاد الصمد إذا كان الهدف تطبيق مقولة «عفا الله عما مضى بهدف بيع أصول وأملاك الدولة ورهنها لمصلحة من أساء ائتمان مال الناس كجمعية المصارف، أو من أساء ائتمان المال العام في حاكمية مصرف لبنان ومعظم الوزارات المتعاقبة منذ 1993 حتى الآن؟». النائب أسامة سعد استنكر طلب حلول مجلس النواب مكان الحكومة، وقال إنه «ليس ضد توسيع التدقيق، لكن الحمايات السياسية ستمنع ذلك». فيما تحدث النائب فيصل كرامي عن أن اللقاء التشاوري تقدم باقتراح قانون «من باب سدّ الذرائع، فاقترحنا عقوبات بحق من يمتنع عن إعطاء المعلومات. لماذا يعطي المصرف المركزي الفرنسي كل المعلومات ولا يعطيها للحكومة اللبنانية؟». ودعا الى عقد جلسة تشريعية.

في الختام، صدّق الجميع على اقتراح كنعان المؤيَّد من بري بإقرار توصية لإخضاع المصرف المركزي وكل المؤسسات العامة للتدقيق الجنائي. كما جرى إقرار اقتراح قانون مقدّم من كتلة «التنمية والتحرير» يقضي باعتبار شهداء انفجار مرفأ بيروت بمثابة شهداء في الجيش اللبناني، واعتبار جرحى الانفجار مستفيدين من تقديمات الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي مدى الحياة.

في الواجهة

من رسالة الرئيس إلى قرار المجلس: الحاكم هو الأقوى

لم يسبق لمجلس النواب أن أجاب يوماً عن رسالة لرئيس الجمهورية وجّهها إليه بموجب الفقرة 10 من المادة 53 على نحو ما فعل أمس. سواء كان الجواب فعل حقّ قابلاً للحياة ــ وهو حتماً ليس كذلك ــ أو فعل باطل قطع أخيراً عنق التدقيق الجنائي

نقولا ناصيف

على مرّ البرلمانات المتعاقبة في ظل اتفاق الطائف، تلقّت هذه، إلى الآن، خمس رسائل وجّهها إليها رؤساء للجمهورية، لم تجب سوى عن الأخيرة. احترمت البرلمانات تلك أصول التعامل مع كل من الرسائل تبعاً للآليتين المنصوص عليهما في المادة 53 من الدستور والمادة 145 من النظام الداخلي لمجلس النواب: تلقّيها، فتحديد موعد لجلسة تلاوتها بعد ثلاثة أيام من تسلمها، فمناقشتها واتخاذ موقف أو قرار منها. صلاحية دستورية منوطة برئيس الجمهورية ملزمة وواجبة الحصول. لذا انتهى المطاف بها دائماً عند ما قبل اتخاذ الموقف أو القرار. لأن الجواب عن الرسالة يقع في صلاحيات مجلس النواب، بخضع بالممارسة لواقع الكتل وتوازناتها وولاءاتها. بذلك دلّت التجارب منذ السابقة الأولى على تمييز توجيه الرسالة عن اتخاذ الموقف أو القرار منها.

في الرسائل الثلاث الأولى أصابت الإجراءات تلك، وتوقفت عند مناقشتها دونما اتخاذ موقف أو قرار حاسم منها. لم تحظ باي جواب من مجلس النواب في مثل قرار صريح وواضح كالذي اتخذه البرلمان البارحة. لم يجب عن رسالة الرئيس الياس الهراوي في 19 آذار 1998، إذ طالب بتأليف الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية السياسية بالتزامن مع إقرار قانون مدني اختياري للأحوال الشخصية شكّل ذروة نزاع بينه وبين الرئيس رفيق الحريري. لم يُجب عن رسالة الرئيس إميل لحود في 4 أيار 2005، منادياً بقانون جديد للانتخاب يحل محل القانون النافذ منذ عام 2000 في عز المواجهة على الانتخابات النيابية المقررة عامذاك على أثر اغتيال الحريري. لم يُجب عن رسالة الرئيس ميشال سليمان في 21 أيار 2014 قبل أربعة أيام فقط من انتهاء ولايته، حاضّاً البرلمان على انتخاب خلف له قبل فوات المهلة الدستورية. ذهبت الرسائل الثلاث تلك في مهب الريح كأنها لم تكن، ولم تُتلَ في المجلس، وكأن لا معنى للصلاحية الدستورية. رابعة الرسائل الرئاسية كانت للرئيس ميشال عون في 31 تموز 2017، داعياً الى تفسير المادة 95 من الدستور. وصلت الرسالة الى المجلس وحُدد موعد تلاوتها في 17 تشرين الأول، ثم سُحبت وصُرف النظر عنها نظراً الى حساسية مضمونها، والذهاب الى ما يشبه تفسيراً دستورياً ليس في أوانه. الى تلك، كان عون في صدد توجيه رسالة في كانون الأول 2018 في حماة مازق نجّم عن إخفاق الرئيس المكلف سعد الحريري في تأليف حكومة طوال سبعة أشهر، سرعان ما غُضّ الطرف عنها. إلا أن التأليف تأخر الى الشهر التالي.

أما الرسالة الأخيرة الخامسة، الموجّهة الى مجلس النواب في 24 تشرين الثاني، فمختلفة تماماً عن تلك التي سبقتها. وقد يصح القول أن لا نظير لها حتى الآن.

في فحوى ما ترمي إليه الصلاحية هذه، المدرجة في إصلاحات اتفاق الطائف، غير المسبوقة في دستور 1926، أضيف اقتباسها من دستور الجمهورية الخامسة الفرنسية عام 1958، أن رئيس الجمهورية يوجّهها الى البرلمان لحسم خلاف بينه وبين السلطة الإجرائية التي لا يُصوّت فيها وإن يترأسها عندما يحضر، والمقيّد بمهل ملزمة لتوقيع قراراتها. عندما يتعذر الاتفاق معها، يخاطب البرلمان كي يتدخّل ويحسم النزاع ما دامت الحكومة مسؤولة أمامه من أجل انتظام عمل المؤسسات الدستورية. للرسالة مهمة أخرى تتخذ طابعاً خاصاً أو استثنائياً يبرّر مخاطبة رئيس الدولة السلطةَ الاشتراعيةَ أمّ المؤسسات الدستورية، هو الاحتكام إليها في استحقاق خطير من شأنه تهديد وحدة البلاد، أو مجتمعها، أو التسبّب في انقسامها، أو تعطيل مؤسساتها، كي يضطلع البرلمان بدوره مع أن للرئيس مسؤولية مماثلة أوردتها المادة 49 من الدستور. المسؤولية تمسي هنا مشتركة في مواجهة استحقاق داهم

قرار البرلمان قطع أخيراً عنق التدقيق الجنائي

مهما تكن أخطاره. ذلك ما عبّرت عنه الرسائل الرئاسية الأربع ما بين عامَي 1998 و2018.

أما ما يجري اليوم، فغير مسبوق بالنسبة الى رئيس الجمهورية، كما إلى السلطة الاشتراعية برمّتها:

1 - ما يطلبه عون في الأصل، ثم استطراداً، تدخّل مجلس النواب من أجل التعاون مع الحكومة لتمكين الدولة من إجراء التدقيق المحاسبي الجنائي في حسابات مصرف لبنان، ومنه إلى سائر مرافق الدولة العامة. ما يعنيه حصراً ـ وهو مكمن السابقة ـ «التشكي» لدى البرلمان من حاكم مصرف لبنان رياض سلامة العاصي على تنفيذ قرارات السلطة الإجرائية في تزويد شركة التدقيق الجنائي «الفاريز إند مارسال» بالحسابات السرية لمصرف لبنان.

رسالة عون اشتكى من عصيان الحاكم وقرار مجلس النواب حماه (أرشيف)

ما حدث أن موظفاً، أياً يكن، يرفض تنفيذ قرارات الحكومة، ويقوّض اتفاقاً أبرمته مع شركة تدقيق جنائي دولية، ويحجب عنها أدلّة الإهدار والهندسات المالية وخسائره الفادحة التي أفرغت خزانته وقادت البلاد الى الانهيار، الناجمة عن تواطئه مع الطبقة السياسية على مر أربعة عهود وتعويم مصارف. ناهيك بكمّ ليس قليلاً من الذين أغدق عليهم قروضاً ومساهمات شملت من بين هؤلاء من غير الكبار في الطبقة السياسية والسلطة، غير لبنانيين. ليس الرجل هو المسؤول الوحيد، إلا أنه صاحب القرار الذي قاد الى ما باتت عليه العملة الوطنية. بذلك يُسقط الشرطيَين الأولين لصندوق النقد الدولي والمبادرة الفرنسية، ويحول دون مباشرة الإصلاحات البنيوية انطلاقاً من معرفة مكمن إفلاس الدولة اللبنانية. الأدهى في ما انطوى عليه هذا «التشكي»، الإفصاح عن العجز الكامل عن مساءلة الحاكم، وإرغامه على تنفيذ قرارات السلطة الإجرائية. لكنه إقرار بأنه الأقوى في النظام.

2 - ما رمت إليه رسالة رئيس الجمهورية ليس «تأنيب» سلامة، ولا حتماً التوسط لديه، بل انتزاع الذريعة القانونية التي يتمسك بها وهي قانونا السرية المصرفية والنقد والتسليف اللذان، في حسبانه، يحظران عليه الكشف عن دفاتره وسجلاته السرية، السياسية مقدار ما هي مالية. على طريقة الرد على السؤال بسؤال، أجاب مجلس النواب رئيس الجمهورية بما كان يطالبه به هو، لا بما توخى الرئيس أن يبادر المجلس الى القيام به، وهو انتزاع الذريعة تلك بتعديل القانونين المشكو منهما من خلال التأكيد على اتخاذ الإجراءات الآيلة إليه. انتهت جلسة تلاوة الرسالة بقرار هو أقرب الى توصية تحمل مضمون الرسالة نفسه، غير ملزمة، خالية من أي أساس قانوني صلب، تشجع الحاكم على الإصرار على حجته، ولا تجزم بالتزام البرلمان بفرض التدقيق الجنائي في مصرف لبنان من خلال الصلاحيات التي يملكها هو قبل سواه.

مع أن البرلمان أكد في قراره إخضاع حسابات مصرف لبنان والوزارات والإدارات والمجالس والصناديق للتدقيق الجنائي الموازي في معزل عن السرّية المصرفية، إلا أنه أبقى المشكلة تراوح مكانها. عندما يراد إجراء تحقيق جنائي في كل الإدارات والصناديق والمجالس بالتوازي، من غير أن يكون ثمة مكان ما يبدأ التدقيق منه، فذلك يعني أن لا تدقيق جدياً حقيقياً سيحصل. المفارقة التي تضمّنها قرار مجلس النواب، مطالبته بتحقيق جنائي شامل، فيما كتله وأحزابه كلها تقريباً ضالعة في فضائح حقائب الخدمات، الموازية لفضائح مصرف لبنان.

3 - قدّم الحاكم مجدداً أمثولة ليس لرئيس الجمهورية ولا لحكومة الرئيس حسان دياب، بل للبرلمان حتى، أنه كـ«موظف» أقوى من المؤسسات الدستورية كلها، منفردة ومجتمعة. أقرب الى أن يكون رابع الرؤساء وأكثرهم مناعة. ليس خافياً أنه يحمي الطبقة السياسية مقدار ما تحميه. سقوط أحدهما يجرجر الآخر معه. لا يملك رسالة ما أعطى وأغدق فحسب، بل وثائق إدانة شركائه.

عندما يتاح لشركة التدقيق الجنائي «الفاريز إند مارسال» الاطّلاع على قرار مجلس النواب، بعد قراءتها رسالة رئيس الجمهورية، ستتقطع الشك باليقين أن مهمتها في لبنان انتهت الى غير رجعة.

المشهد السياسي

عون يقطع الطريق على سلامة: ممنوع إلغاء الدعم

الرسالة التي أراد الرئيس ميشال عون إيصالها إلى حاكم مصرف لبنان رياض سلامة يمكن تلخيصها بالآتي: «لا لإلغاء دعم» الدواء والمحروقات والقمح والسلّة الغذائية. لهذه الغاية، اجتمعا أمس في قصر بعبدا، وقد صدر بعد اللقاء بيانٌ مُقتضب يُشير إلى أنّ الرئيس بحث مع سلامة «موضوع دعم المواد الأساسية والضرورية والإجراءات الآيلة الى استمرار هذا الدعم في الظروف الراهنة». فبالنسبة إلى رئيس الجمهورية، الوضع لا يسمح برفع الدعم حالياً لأنه سيتسبّب بمشكلة اجتماعية، بحسب المعلومات. لكنّ الاجتماع بين عون وسلامة لم يبحث بالآليات الجديدة التي ستُعتمَد، ولم يُحسم من أين سيتمّ تمويل كلفة الدعم نظراً إلى عدم حسم مسألة تخفيض نسبة «الاحتياطي الإلزامي» من عدمه، مع مُمانعة أعضاء في المجلس المركزي لمصرف لبنان، مدعومين من أصحاب المصارف وكبار المودعين، لهذا الخيار. النقاش بين الرئيس وحاكم مصرف لبنان بقي في الإطار العام، عن ضرورة اتّخاذ إجراءات لتخفيض عدد المواد الغذائية المدعومة، وتقليص نسبة المُستفيدين من الدعم على المحروقات، فلا يستفيد منه غير المستحقين. وفي هذا الإطار، بدأ التداول بـ«أفكار» عامة حول توجيه الدعم، لتُصبح كلفته في السنة بحدود المليار و300 مليون دولار، وتُوزّع بطاقات (لم يُحسم إن كانت تموينية أو تمويلية) على أكثر من 500 ألف عائلة باتت فقيرة. المشكلة أنّ البيانات المطلوبة لوضع «البطاقة المدعومة» موضع التنفيذ وانطلاق العمل بها لم تجهز بعد، وهذا الأمر قد يستغرق أشهراً، نظراً إلى غياب المعايير التي على أساسها يُحدّد «الأكثر فقراً»، والافتقار إلى العدد اللازم من الموظفين لإنجاز المُهمة. بداية الأسبوع المقبل ستشهد اجتماعات بين جهات حكومية واقتصاديين وأعضاء من المجلس المركزي في مصرف لبنان لمحاولة الاتفاق على آلية جديدة للدعم، على أن يُبتّ الموضوع في اجتماع المجلس المركزي يوم الأربعاء.

هذه «الضبابية» في موضوع الدعم، تنسحب أيضاً على الملفّ الحكومي، طالما أنّ الرئيس المُكلّف سعد الحريري مُصرّ على أن يكون «الرهينة»... رهينة الخطوط الحُمر التي حدّدتها له الولايات المتحدة الأميركية. وفي هذا السياق، قال نائب الأمين العام لحزب الله، الشيخ نعيم قاسم إنّ خطوة الحريري «بتسمية من يُريد وعدم التواصل الكافي مع بعض الكُتل، والموقف الأميركي الضاغط على لبنان بأشكال مُختلفة، سبّبا تأخير تأليف الحكومة». وأضاف قاسم في مقابلة مع قناة «المنار» إنّ الحلّ هو «الجرأة بتأليف الحكومة وتقريب المسافات البعيدة... ترف الوقت ليس في مصلحة أحد، والبعض ينتظر تسلّم الرئيس الأميركي الجديد مهماته لتكون الحكومة مُنسجمة مع التوجهات الأميركية»، مُعتبراً أنّ الأجدى في هذه الظروف أن تدعى حكومة تصريف الأعمال «إلى اجتماعات دائمة لحلّ مشاكل الناس في ظلّ غياب الحكومة الجديدة، وهذا ما يُتيحه الدستور». ماذا عن اتهام حزب الله بأنّه «مُشكلة» عدم تأليف حكومة؟ ردّ قاسم بعدم وجود مشكلة مع «الحزب» ولا منه، فـ«الأساس هو التفاهم بين الرئيسين لتأليفها. الطريقة المُثلى لتأليف الحكومة هي الحوار بين الرئيس المكلّف والكتل النيابية لتستطيع الحكومة نيل الثقة في مجلس النواب، فموافقة الكتل النيابية شرطٌ أساسي لتأليف الحكومة، وهذا ما يجب أن يفهمه الأميركي». وأكد أنّ القاعدة لحلّ مشكلتنا في لبنان «أن نُدافع عن أنفسنا ونعمل على مصلحة لبنان أولاً، والأميركي لا يُخيفنا». أما في ما خصّ المبادرة الفرنسية، فأوضح قاسم أنّ «أصلها اقتصادي ونحن موافقون على ذلك في المبدأ، ولكن لا نقبل أبداً الاستقواء بهذه المبادرة»، مُجدّداً موقف حزب الله برفض «أي مساعدات مشروطة، ونقبل بالمساعدات من صندوق النقد الدولي بعد مناقشتها لأنّنا أخبر في بلدنا».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

قاسم: ليفهم الأميركي أنّ موافقة الكتل النيابية شرطٌ أساسيّ لتأليف الحكومة

تقرير

«ثورة» القضاة والمحامين: على «الداخليّة»... لا لتنظيف العدليّة!

رضوان مرتضى

انتفض القضاة دفاعاً عن «كرامتهم». استنكروا اتّهام معظمهم بالفساد من قبل وزير الداخلية محمد فهمي، طالبين محاسبته. هالهم قوله في إطلالته مع الإعلامي مارسيل غانم، أول من أمس، إنّ 95 % من قضاة لبنان فاسدون. هزّهم تجرؤ الوزير القادم من المؤسسة العسكرية عليهم. شدّوا العصب على مجموعات الواتساب ووسائل التواصل الاجتماعي وبيانات متتابعة صدرت عن مجلس القضاء الأعلى ونادي القضاة تُدين وتستنكر. سبقهم المحامون إلى «الثورة» ضد قوى الأمن والوزير. استنكروا تعرّض زميلهم للاعتقال بالقوّة لمخالفته قراراً إدارياً. تسلّحوا بمقاطع مصوّرة تُظهر نصف الحقيقة. هددوا وأرعدوا وتوعّدوا بالتصعيد إضراباً حتى محاسبة الدركيين. ورغم نشر القوى الأمنية فيديو مصوّراً من كاميرا مراقبة في محطة المحروقات المطلّة على مكان الحادثة، بيّنت أنّ المحامي بادر إلى مهاجمة الشرطي عبر لكمه، إلا أنّ رجل القانون، بحسب دفاع المحامين، برر هجومه بأنّ الشرطي استفزّه كلامياً وشتمه، فهاجمه وضربه. هكذا بكل بساطة كرر المناط بهم حماية القانون تبرير الاعتداء. شتمه الشرطي فضربه! أكملوا هجومهم على قاعدة انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً من دون اكتراث إلى أنه بفعلته هذه تحوّل من صاحب حق إلى معتدٍ. ورغم أن «جسم قوى الأمن لبّس» لكون كثيرين منهم يتعاملون بفظاظة مع المواطنين بحيث بات يُصدّق عنهم أي شيء، إلا أنّه لسوء حظ المحامين هذه المرة كان الأمر مختلفاً. غير أن ذلك لم يشفع لهم أمام المناط بهم الدفاع عن المظلومين. بل قادهم في ذلك نقيب المحامين، ملحم خلف، الذي لم يعتذر على اقتحامه فصيلة قوى الأمن لتحرير محام ارتكب جرماً، رغم معرفته بأنه كان البادئ. أصرّ الرجل على أن يسنّ سُنّة سيئة ليستعرض أمام المحامين والرأي العام لكسب الجمهور. فإذا كان نقيب المحامين يُبيح لنفسه مخالفة القانون، فلماذا لا يكون ذلك مباحاً أمام الجميع، وتحديداً أمام كل مرتكب يعتبر نفسه محقّاً وفوق القانون؟

توحّد «جناحا العدالة» ضد «حملة مشبوهة»، تُشنّ ضدهما! أولى الخطوات التصعيدية من القضاء، ردّاً على وزير الداخلية، كانت عبر محاكم السير في عدلية بيروت التي قرر هذه المرة كان الأمر مختلفاً. غير أن ذلك لم يشفع لهم أمام المناط بهم الدفاع عن المظلومين. بل قادهم في ذلك نقيب المحامين، ملحم خلف، الذي لم يعتذر على اقتحامه فصيلة قوى الأمن لتحرير محام ارتكب جرماً، رغم معرفته بأنه كان البادئ. أصرّ الرجل على أن يسنّ سُنّة سيئة ليستعرض أمام المحامين والرأي العام لكسب الجمهور. فإذا كان نقيب المحامين يُبيح لنفسه مخالفة القانون، فلماذا لا يكون ذلك مباحاً أمام الجميع، وتحديداً أمام كل مرتكب يعتبر نفسه محقّاً وفوق القانون؟

توحّد «جناحا العدالة» ضد «حملة مشبوهة»، تُشنّ ضدهما! أولى الخطوات التصعيدية من القضاء، ردّاً على وزير الداخلية، كانت عبر محاكم السير في عدلية بيروت التي قرر تجميد عمل المحامين. كما أرسلوا كتاباً إلى المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي يطالبون فيها بإيداعهم جميع المحاضر المنظّمة بحق المحامين. رغم أنّ العادة جرت على أن يعترض من يُحرَّر بحقه محضر ضبط يعتبره مخالفاً للقانون، أمام القضاء، لإلغائه أو تخفيضه. فضلاً عن أنّ العناصر الأمنية لا تُدوّن صفة الشخص أو مهنته على محاضر الضبط ولا تُصنّفها بحسب الوظيفة، إنما تكتفي برقم السيارة واسم صاحبها ونوع المخالفة.

ولدنة وتكايات وإدارات تُهاجم بعضها البعض. مظاهر تكاد تكون من أوضح معالم تحلّل الدولة وتفككها.

هكذا فجأة، بقدرة وزير داخلية، استيقظ أهل العدالة النائمة. استفزّهم هجوم موظف، برتبة وزير، عليهم. ورغم أنّ وزير الداخلية بالغ باعتباره أنّ 95% من القضاة فاسدون، إلا أنّ «هزّة البدن» هذه كان لا بُدّ منها. نداء الوزير والإعلام والسجناء لأهل العدالة بأن «تطهّروا أيها القضاة» الذي تملأ أصداؤه أرجاء قصور العدل لم يأتِ بنتيجة قبل ذلك. لماذا اليوم اعتبر القضاة أنفسهم معنيين بنسبة الفساد التي تحدث عنها الوزير؟ وهل احتج الفاسد والنظيف، أم أنّ الانتفاضة لكرامة القضاء بداية للتغيير؟ وهل يقوم القضاة بواجبهم أصلاً ليحتجوا على تناولهم بهذا الشكل؟

القضاة لا يُريدون لأحد أن يعرف عنهم شيئاً. التفتيش القضائي نائم في زنازين أشبه بالمقابر. فهؤلاء هم الفئة الأضعف التي تكون في الدرك الأسفل من المجتمع، بحيث يمكن سحقهم من دون أن يسأل أحدٌ عنهم. هؤلاء القضاة، الذين يُنادي بعضهم بالاعتكاف، يريدون تعطيل مرفق عام ووقف مصالح الناس فقط لأنهم غاضبون. غير أنّ هؤلاء أنفسهم، الذين يُفترض التعويل عليهم في قيادة معركة مكافحة الفساد، لم يقوموا بشيء لتغيير الواقع المزري منذ سنوات طويلة، منذ أكثر من عشر سنوات، يُنادي الجميع بتسريع المحاكمات، لكنهم لم يفعلوا. لم يكلّفوا خاطرهم وضع جدول زمني لتسريع إصدار الأحكام ووقف الظلم الذي يتسببون به بحق الموقوفين الذين قد يكون بعضهم بريئاً. بالطبع، على مجلس القضاء الأعلى واجب الحفاظ على كرامة القضاء، لكن عليه أيضاً، وقبل ذلك، حثّ القضاة على أداء واجبهم. لماذا يُترك قضاة مقصّرون من دون محاسبة؟ لماذا يُسمح بأن يكون هناك قضاة عديمي الإنتاجية مع العلم بأن دوام القاضي غريب عجيب؟ قد يُفهم أن يأتي قاضٍ يعمل في محكمة الجنايات يومين في الأسبوع فقط، لأنه سيكون منهمكاً في ملفاته باقي أيام الأسبوع. لكن لماذا يُداوم قضاة محاكم السير ليومين فقط طالما أن عملهم بتّ محاضر السير من مكاتبهم؟

رغم كل ما تقدم، وهذا غيض من فيض ما تتناقله السنة القضاة أنفسهم، ومعظمهم قضاة شرفاء يحلمون بقضاء قوي وعادل، ويؤرقهم وضع العدالة المريضة، إلا أنهم يرون أنفسهم عاجزين عن التغيير.

على مجلس القضاء الحفاظ على كرامة القضاء، لكن عليه أيضاً حثّ القضاة على أداء واجبهم

كورونا

قرار بفتح البلاد... واستمرار حظر التجول ليلاً؟

«صدام» للمرة الأولى بين وزير الصحة ومستشارة رئيس الحكومة للشؤون الصحية (هيثم الموسوي)

حُسم القرار. لا تمديد لإقفال البلاد. هذا ما أعلنته اللجنة الوزارية المختصة بكورونا، عقب اجتماعها أمس. كانت هذه «الخرطوشة» هي الأخيرة في معركة مواجهة الفيروس الذي يتفشى بسرعةٍ هائلة في جميع المناطق، بلا استثناء. أما وقد فشلت آخر الخيارات المتاحة للبلاد، فقد بات أمراً محسوماً بدء مرحلةٍ جديدة من التعايش مع الفيروس، لا تبشّر بالكثير من التفاؤل، وخصوصاً بعد التجارب الفاشلة التي رافقت مراحل الإقفال السابقة. فخلال تلك الإقفالات، لم يتعاط الناس بجدية مع خطورة الفيروس، ولا حتى الجهات الرسمية. هكذا، بتنا اليوم أمام خيار «الفلتان». لا مسمى آخر لما سيحدث بعد ترك البلاد لمصيرها.

وفي كل الأحوال، لم يكن ثمة بدائل أخرى لما بعد الإقفال، لناحية أن الأوضاع الاقتصادية في البلاد لا تحتمل اليوم قرارات بهذا الحسم. وهو ما قال وزير الصحة العامة، حمد حسن في التصريح الذي خرج به عقب اجتماع اللجنة الوزارية، مستعرضاً «الخيبات» قبل أن يعلن قرار اللجنة «بالخروج التدريجي من الإقفال»، على أن يتبع ذلك «اجتماع غداً لتوضيح خطة الخروج والتي سيتم تقييمها أسبوعياً، مع وضع بعض النقاط الحاسمة للحد من انتشار الفيروس». وعلمت «الأخبار» أن اجتماع اللجنة شهد نقاشاً حاداً للمرة الأولى، بين حسن من جهة، ومستشارة رئيس الحكومة للشؤون الصحية، بترا خوري، من جهة أخرى، وصل إلى حد الصدام. فالأخيرة تقترح أفكاراً يراها حسن غير واقعية، ولا يمكن تطبيقها في لبنان، نظراً إلى أزمته الاقتصادية من ناحية، وضعف بنية الدولة من الناحية الأخرى. كذلك يشكو حسن، خارج الاجتماع، من «هيمنتها» على القرارات المتصلة بالقطاع الصحي. وقالت مصادر اللجنة إن الاتجاه لديها يقضي بالاستمرار في قرار منع التجول بعد التاسعة ليلاً، فضلاً عن استمرار إقفال الملاهي الليلية والمقاهي. وفي هذا الصدد، أكد حسن أن الخطة التي ستوضع من المفترض «أن تحاكي الواقع اللبناني، لا أن تطبّق خطة أوروبية أو أميركية». أما على صعيد الخيبات، فقد أعلن حسن أن ما تحقق خلال فترة الإقفال على الصعيد الصحي كان دون طموحات الوزارة، حيث «بقينا دون المستوى المطلوب في ما يخص مستوى رفع الجهوزية في المستشفيات، إذ أضيف فقط 60 سريراً في المستشفيات الحكومية و34 سريراً في المستشفيات الخاصة». أما الفشل الآخر، فقد تجلى في عجز الدولة عن خفض معدل نسبة الفحوص الموجبة إلى ما دون 12%، حيث بقيت النسبة عند عتبة الـ 15%، وهي مرشحة للتصاعد أكثر في القادم من الأيام.

وفي حضرة قرار فك العزلة، يواصل عداد الوفيات ارتفاعه، وقد بلغ ذروته خلال الأيام الخمسة الماضية، حيث سجل 90 حالة وفاة دفعة واحدة (6 ضحايا أمس). وإن كان هذا الرقم يأتي كنتيجة «طبيعية» نسبة إلى عدد الموصولين إلى أجهزة التنفس في غرف العناية الفائقة، إلا أنه من المؤشرات التي تنذر بخطورة الوضع في البلاد. وليس عداد الإصابات بحال أفضل مع تسجيله أمس، 1782 إصابة باتت في معظمها إصابات محلية. وبهذه الأرقام يرتفع عدد الحالات النشطة إلى 50 ألفاً (العدد الإجمالي منذ شباط الماضي يبلغ 129 ألفاً و941 حالة، شفي منها 74 ألفاً و8 حالات). هكذا، لم يغير الإقفال شيئاً في العدادات التي استمرت على نشاطها، فإضافة إلى أعداد الإصابات، يواصل عداد الحالات الحرجة في غرف العناية الفائقة تصاعده مع تسجيل 385 حالة، من بينها 139 حالة موصولة إلى أجهزة التنفس. وهذا إن عنى شيئاً، فهو أن قرار الإقفال فشل في الهدف الذي أراد تحقيقه، وهو السماح للقطاع الصحي بـ«أخذ النفس». فهذا الأخير بات عاجزاً عن التقاط ذلك النفس في ظل انفلاش الفيروس من جهة، وفي ظل العجز عن تمتين هذا القطاع لجعله قادراً على المواجهة من جهة أخرى. أما الخبر الآخر، فهو أن عدد الإصابات في صفوف العاملين الصحيين سجّل، أمس، 15 إصابة!

(الأخبار)

أوجيرو
من أجلنا
مناقصة عمومية
لتوريد أعمدة خشبية لزوم هيئة أوجيرو (إعادة)
تدعو هيئة أوجيرو الشركات المتخصصة الى تقديم عروض بالظرف المختوم وذلك لتوريد أعمدة خشبية لزوم هيئة أوجيرو .
يمكن الحصول على دفتر الشروط الخاصة بذلك من مركز أوجيرو الرئيسي في بئر حسن - مقابل المدينة الرياضية ، الطابق الأول - الغرفة ١١٨ اعتباراً من نهار الجمعة الواقع فيه ٢٠٢٠/١١/٢٧ وذلك خلال الدوام الرسمي، على أن يكون آخر موعد لقبول العروض الساعة الثانية عشرة من نهار الجمعة الواقع فيه ٢٠٢٠/١٢/١١.
تجري جلسة فض العروض الساعة العاشرة صباحاً من نهار الإثنين الواقع فيه ٢٠٢٠/١٢/١٤.
ملاحظة: تقدم العروض لدى أمانة سر الهيئة في الطابق الثاني - الغرفة رقم ٢١٩.

تحقيق

يترحّم اللبنانيون على زمن كانوا يجيبون به على كل دعوة إلى مشوار مفاجئ، بعبارة «خليني حط شي بإجري وبجي». فقد أصبح الـ«شي» مكلفاً للغاية، حتى بات البعض يخشى استهلاك حذائه

لعدم القدرة على شراء غيره. الأحذية المستوردة، حتى العادي منها، أصبحت تكلف مئات آلاف الليرات، والمحلية الصنع غير قادرة على تلبية حاجة السوق بعدما ضُربت صناعة الأحذية التي

كانت أحد أبرز القطاعات الإنتاجية ومن أكثرها مساهمة في الاقتصاد الوطني. في الانتظار، يبقى الحلّ بالعودة إلى «الكندرجي» لـ«تزبيط» ما يمكن «تزبيطه»

من 500 مصنع إلى خمسة
هكذا ماتت صناعة الأحذية

رضا صوايا

محلّات بيع الأحذية التي كانت مقصد أبناء الطبقة الوسطى ومحدودي الدخل لم يعُد في مقدور هؤلاء الوصول إليها، ليس لأن بضائعها «ارتقت» لتوائم ذائقة الميسورين وقدراتهم المادية، وإنما

> بين 2010 و2020 استورد لبنان أحذية بقيمة مليار و347 مليون دولار

لأنه، بعد انهيار سعر صرف الليرة والارتفاع الخيالي في أسعار البضائع والسلع المستوردة، بات سعر الـ«مشاية» الرجالية 180 ألف ليرة في بعض المتاجر، وهو مبلغ كان يكفي قبل عام لشراء أغلى حذاء رسمي من المتجر نفسه.

واقع، رغم مرارته، كان يفترض أن يكون مثالياً للصناعة المحليّة لتملأ الفراغ، لولا أنها طُعنت من بيت أبيها، بسبب السياسات الاقتصادية التي اتُّبعت منذ ما بعد انتهاء الحرب، والتي أهملت الصناعة لصالح الاستيراد المتفلّت من الضوابط، بالتزامن مع موجات تهريب ضخمة وتهرب ضريبي، ما أدّى إلى قضاء ممنهج وشبه كامل على قطاع لطالما شكّل أحد مفاخر الصناعة اللبنانية حول العالم.

بلغت وضاح شامي، الأمين العام لتجمع صناعيي الضاحية ورئيس هيئة نقابة صناعيي الأحذية، إلى أن «عدد المصانع الكبيرة المتخصّصة في صناعة الأحذية لا يزيد اليوم على خمسة بعدما كان في التسعينيات يتخطى الـ 500». أما المصانع الصغيرة والورش، المرخّص منها وغير المرخص، فقد «بلغ عددها منتصف التسعينيات 1200 مصنع وورشة، لم يبقَ منها اليوم سوى 120 فقط»، بحسب رئيس نقابة عمال صناعة الأحذية والجلود رضا سعد، مشيراً إلى أن هذه الصناعة عرفت ذروة مجدها أوائل السبعينيات عندما «كانت تساهم بحوالى 7% من الناتج المحلي الإجمالي». وبعدما كان يعتاش من هذه الصناعة «أكثر من 40 ألف لبناني، انخفض العدد اليوم إلى أقل من 3 آلاف».

انهيار مفهوم ومبرّر إذا ما تعمّقنا في أرقام استيراد الأحذية خلال السنوات الماضية (من دون احتساب حجم التهريب وما أُدخل بطرق احتيالية عبر المرفأ). يقول الباحث في الشؤون الإحصائية عباس طفيلي إن لبنان «استورد بين عامي 2010 و2020 أحذية بقيمة مليار و347 مليون دولار، وصدّر ما قيمته 162 مليون دولار». إلّا أنّ اللافت هو الانخفاض الحاد في حجم استيراد الأحذية بين العام الماضي والسنة الجارية، «من 105 ملايين دولار إلى 27 مليوناً»، وهو فارق كان يمكن للصناعة المحليّة تعويضه لو لم تجر تصفيتها طوال عقود، خصوصاً أن القدرة الإنتاجية للمصانع المحلية بلغت حوالى «10 ملايين حذاء منتصف التسعينيات». «تكلّف صناعة سكربينة جلد أصلي 100% من الداخل والخارج مع كعب 8 سم، من يد عاملة وجلود وكاوتشوك وضبان ومسامير، 48 دولاراً، وكنا نبيعها بحوالى 150 ألف ليرة. اليوم سعرها 350 ألف ليرة، فمن سيشتري؟»، يقول شارل سماحة، وهو صاحب مصنع سابق ومالك متجر حالي، مؤكداً أن «مبيعاتنا في الشهر لا تتعدى الـ 200 ألف ليرة حالياً. ارتفاع الكلفة ما دامت الصناعة محليّة يعيده سماحة إلى أن «مصانع الجلود والكعوب والكاوتشوك في لبنان تسعّر وفق سعر صرف الدولار في السوق الموازية».

فادي مروة، وهو صاحب مصنع للأحذية، يشير إلى أن «سعر الحذاء المصنّع محلياً قريب من سعر الحذاء التركي، لكن الأخير أرخص بسبب التهريب. ورغم أن جودة الحذاء اللبناني تفوق بكثير أغلب الأحذية التي تدخل إلى لبنان، تصعب علينا المنافسة في ظلّ هذا الفلتان. فعلى سبيل المثال، تصنع المصانع الصغيرة في لبنان سنوياً ما يوازي ثلاثة مستوعبات شحن من الأحذية، فيما يُدخل شخص واحد إلى السوق أكثر من 50 مستوعباً بشكل غير شرعي». يؤكّد مروة أنه «كانت أمامنا فرصة للتوسّع في السوق الخليجية، وهي السوق الأبرز لصادراتنا من الأحذية، خصوصاً بعد الخلافات الخليجية - التركية ووقف دول الخليج استيراد البضائع التركية. لكن ما حصل أنه جرى استيراد أحذية من تركيا إلى لبنان، وأُعيد تصديرها إلى الخليج على أنها مصنّعة في لبنان أو أوروبا...».

وفي هذا السياق، يشرح شامي أحد أوجه الاحتيال الذي ساهم في ضرب هذه الصناعة. فبعدما صدر قرار عام 2004 يقضي بفرض «رسم نوعي على الأحذية المستوردة من الخارج، قيمته 3 دولارات على جوز الحذاء الواطي، أي تحت الكاحل، و5 دولارات للحذاء فوق الكاحل، قام التجار بإدخال الأحذية مفكّكة للتهرب من هذا الرسم». كيف؟ «أدخلوا مستوعبات نعول ومستوعبات أحذية من دون نعول على أساس أنها مواد أولية، وقاموا بتجميعها في لبنان وتصديرها إلى الخارج على أنها صناعة لبنانية، ما ضرب سمعة صناعة الأحذية اللبنانية».

(هيثم الموسوي)

عودة «أيام العز» إلى «الكندرجي»

«معاش اللبناني صار بيسوى صباط، أو حتى أقل». يبقى هذا التشبيه «الواقعي» منقوصاً ما لم نحدّد ماركة «الصباط» لتبيان حجم المصيبة. فحذاء من صنع Christian Dior، مثلاً، قد يتخطى سعره بسهولة الـ 1000 دولار. وهذه كانت، تقريباً، قيمة متوسط رواتب اللبنانيين قبل انهيار سعر الصرف. فيما اليوم محظوظ من يساوي راتبه ثمن حذاء سعره 200 دولار. أما

> إقبال كثيف مع اقتراب فصل الشتاء لإصلاح الجزمات والبوتينات والأحذية الشتوية

في حالة من يتقاضون الحد الأدنى للأجور فقيمة الراتب باتت تعادل حذاء قيمته 80 دولاراً. معطيات جعلت من الصعب على كثيرين شراء أحذية جديدة، وهو ما أعاد تنشيط عمل «الكندرجي» في «تزبيط» ما أمكن «تزبيطه» من الأحذية القديمة والمستعملة.

اعتقد «الكندرجي» أن مهنتهم أصبحت ذكرى من الماضي، وهي التي عرفت أمجاداً، ترافقت مع ازدهار صناعة الأحذية التي كانت، قبل الحرب الأهلية وخلالها، تضاهي الأحذية الفرنسية والإيطالية من حيث الجودة. عاد السلم وجلب معه حرباً من نوع آخر، قضت على صناعة الحذاء اللبناني وعلى عمل الإسكافيين، بعد إغراق السوق بالأحذية المستوردة والرخيصة الثمن. هكذا، اندثرت تدريجياً الورش والمتاجر الصغيرة التي كانت تملأ الأسواق في برج حمود وطرابلس وصيدا وغيرها من المناطق، وغابت عنها رائحة البويا وأصوات الشواكيش والمسامير التي تركّب نعالاً جديدة...

لا يجد غارو كولكوليان، صاحب مشغل New York العريق في الجديدة، أفضل من توصيف أن «الناس جنّت»، للحديث عن الإقبال الكبير للزبائن. عمر المشغل يقارب القرن، حرفة عائلية متوارثة أباً عن جد، قضى فيها غارو حوالى 50 عاماً وهو يصنع الأحذية أو يصلحها.

كان الحذاء علامة لـ«الفخفخة والتشاوف الاجتماعي»: قل لي ماركة الحذاء الذي تنتعله، أقل لك من أنت. وكان الناس، وفقاً لغارو، «يستسهلون رمي الأحذية القديمة واستبدالها بأخرى جديدة. اليوم الجميع بقصدنا وفي مقدمهم المرتاحون مادياً. الجميع متساوون أمام الإسكافي». يشير كولكوليان إلى أن «الهجمة بدأت منذ شهري نيسان وأيار، ونمت بشكل هائل في الأسابيع الماضية مع اقتراب فصل الشتاء لإصلاح الجزمات والبوتينات والأحذية الشتوية». واللافت هو التبدل في نوعية الزبائن، «فالكثير ممن يقصدوننا هم من زبائن Aïshti الذين كانوا يشترون الحذاء بأكثر من 500 دولار وأحياناً 1000 دولار. سابقاً كانت غالبية زبائننا ممن يشترون أحذية لا يتخطى سعرها الـ 150 دولاراً». بسخرية، يقول: «شو الغريب بالموضوع، إذا Aïshti صار يبيع مواد غذائية»!

فرضت الأزمة الخانقة «توريث الحذاء». يقول «أبو علي»، الكندرجي الطرابلسي العتيق، إن «كثيرين اليوم يقصدوننا طالبين تصغير أحذية أو توسعتها لتلائم قدمي فرد آخر من العائلة».

كما غيرها، لم تسلم مهنة «الكندرجي» من الغلاء، ما فرض على الإسكافيين خفض أرباحهم إلى الحد الأدنى للاستمرار والعمل بعد الجمود الذي عرفته مهنتهم. علماً أن لا خيار إلّا الحد من الكلفة على الزبائن، فحتى أبسط «التزبيطات» باتت مكلفة بمقاييس اليوم. يشرح كولكوليان أن «كعبية حذاء رجالي كانت تكلفنا دولارين أي 3 آلاف ليرة وكنا نتقاضى نحو عشرة آلاف ليرة أي نحو 6 دولارات. اليوم، الدولاران يساويان أكثر من 16 ألف ليرة ونتقاضى 20 ألفاً، فنربح 4 آلاف ليرة، إذ يستحيل أن نسعر 8 آلاف ليرة للدولار. من يمكنه دفع 48 ألف ثمن كعبية حذاء؟». أما «جوز الكعب النسائي الرفيع فسعره دولاران ونصف دولار تقريباً، وكنا نتقاضى 20 ألفاً. اليوم الدولاران ونصف الدولار تساوي أكثر من 20 ألف ليرة، ونضطر إلى تقاضي بين 35 ألف ليرة و40 ألفاً».

بعدما كانت الأسواق تضج بـ«الكندرجي»، هجر كثيرون منهم الحرفة التي فقدت بريقها مع الاعتقاد بانتفاء الحاجة إليها. «لم تكن المهنة حكراً على الفقراء وشغلة مين ما لو شغلة، بل على العكس كان إتقانها يتطلب مهارات عالية، وكانت تؤمن مردوداً عالياً ومعيشة لائقة لأصحابها»، على ما يقول أبو علي الذي يتحسّر على مهنة «لن نتمكن من توريثها لأجيال أخرى لأسباب عدة، منها ضعف مردودها وقلة جاذبيتها للشباب. قد تكون الضائقة الاقتصادية أعادت بعضاً من الروح إلى الصناعة، لكننا نلفظ الأنفاس الأخيرة».

(هيثم الموسوي)

تقرير

التيار النقابي المستقل: رابطة الثانوي غير شرعيّة

رأى التيار النقابي المستقل أن الهيئة الإدارية المهيمنة على رابطة أساتذة التعليم الثانوي الرسمي، بدعم من سلطة أحزابها المنتهكة لكل الأعراف القانونية والمعتدية على الديموقراطية، غير شرعية. وأمام الظروف التي تهدد كل المكتسبات والحقوق من تقديمات اجتماعية وصحية (الواقع الخطير لتعاونية موظفي الدولة) والتدني الكبير للقيمة الشرائية للراتب، دعا التيار الأساتذة الثانويين إلى الذهاب إلى انتخابات شرعية على أساس النظام الشرعي الذي كان معمولاً به قبل التعديل للتخلص من هيئة اختطفت الرابطة سنتين (بل من خريف 2014) تخلّت خلالهما عن دورها في حماية حقوق الأساتذة وكراماتهم.

وأوضح التيار، في بيان، حيثيات ما جرى لدى محاولة تعديل عدد من مواد النظام الداخلي للرابطة، ولا سيما تحويل ولاية الهيئة الإدارية إلى 3 سنوات بدلاً من سنتين. إذ ذهبت الهيئة الإدارية إلى التصويت على التعديلات، وقد «أيّد 2221 أستاذاً التعديلات من أصل 4803 أساتذة (العدد الكامل لأساتذة الثانوي)، بحسب جداول وزارة التربية، ما يعني أن نسبة المؤيدين للتعديلات هي 46 في المئة من كامل عدد الأساتذة (الهيئة العامة للأساتذة الثانويين في الملاك)».

يومها، وصف التيار النقابي المستقل هذا التعديل بالساقط وغير القانوني والباطل لأنه يتنافى مع المادة 49 من النظام الداخلي للرابطة التي تنص على أن أي تعديل يصبح نافذاً إذا حصل على تأييد نصف عدد الأساتذة زائداً أستاذاً واحداً. «لكن الهيئة الإدارية التابعة لأحزاب السلطة في حينه أقرّت التعديل، خلافاً للنظام الداخلي، وبدعم من سلطة أحزابهم الفاسدة ومن وزير التربية حينذاك أكرم شهيب وأجرت انتخابات الهيئة الإدارية على أساس نظام داخلي معدّل غير شرعي وباطل».

وأشار التيار إلى أنه «تقدم بطعن لوزير التربية مروان حمادة في 14 كانون الأول 2019، وأمام مجلس شورى الدولة.

وقال إن «كشف التزوير الذي اقترفته أحزاب السلطة كلّف جهداً كبيراً من مناضلي التيار النقابي المستقل، من جمع المحاضر من كل الثانويات وفرزها ومن ثَمّ تقديم الطعون، وصولاً إلى مقاطعة الانتخابات غير الشرعية والمزورة وعدم الاعتراف بالهيئة التي نتجت من هذه الانتخابات الباطلة». ولفت البيان إلى أن التيار وقف إلى جانب حق الأساتذة الجدد بالمشاركة في انتخابات الرابطة، والذي رفضته أحزاب السلطة.

(الأخبار)

أوجيرو
من عندنا

مناقصة عمومية

لتوريد أجهزة وقطع لشبكة الألياف الضوئية
لزوم هيئة أوجيرو

تدعو هيئة أوجيرو الشركات المتخصصة إلى تقديم عروض بالظرف المختوم وذلك لتوريد أجهزة وقطع لشبكة الألياف الضوئية لزوم هيئة أوجيرو .

يمكن الحصول على دفتر الشروط الخاصة بذلك من مركز اوجيرو الرئيسي في بئر حسن - مقابل المدينة الرياضية ، الطابق الأول - الغرفة ١١٨ اعتباراً من نهار الجمعة الواقع فيه ٢٠٢٠/١١/٢٧ وذلك خلال الدوام الرسمي، على أن يكون آخر موعد لقبول العروض الساعة الثانية عشرة من نهار الجمعة الواقع فيه ٢٠٢٠/١٢/١١.

تجري جلسة فض العروض الساعة العاشرة صباحاً من نهار الثلاثاء الواقع فيه ٢٠٢٠/١٢/١٥.

ملاحظة: تقدم العروض لدى أمانة سر الهيئة في الطابق الثاني - الغرفة رقم ٢١٩.

أوجيرو
من عندنا

مناقصة عمومية

لتوريد كابلات ألياف ضوئية
لزوم هيئة أوجيرو

تدعو هيئة أوجيرو الشركات المتخصصة إلى تقديم عروض بالظرف المختوم وذلك لتوريد كابلات ألياف ضوئية لزوم هيئة أوجيرو .

يمكن الحصول على دفتر الشروط الخاصة بذلك من مركز اوجيرو الرئيسي في بئر حسن - مقابل المدينة الرياضية ، الطابق الأول - الغرفة ١١٨ اعتباراً من نهار الجمعة الواقع فيه ٢٠٢٠/١١/٢٧ وذلك خلال الدوام الرسمي، على أن يكون آخر موعد لقبول العروض الساعة الثانية عشرة من نهار الجمعة الواقع فيه ٢٠٢٠/١٢/١١.

تجري جلسة فض العروض الساعة العاشرة صباحاً من نهار الإثنين الواقع فيه ٢٠٢٠/١٢/١٤.

ملاحظة: تقدم العروض لدى أمانة سر الهيئة في الطابق الثاني - الغرفة رقم ٢١٩.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: نبار ابي صعب
■ مدير التحرير: وفيف قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق إيلي حنا امل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للتلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 01 /666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع اللكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

جورج حجّار: أشعل انتفاضات في جامعات كندا وأميركا، ثمّ طالبَ بحرق شارع الحمراء

أسعد أبو خليل *

ساحدّثكم عن جورج حجّار. هذا لبناني غير معروف منكم، وله آباد بيضاء في الثورة الفلسطينيّة، وفي انتفاضات في جامعات ونقابات كندا وأميركا. لكنّ قبل أن أتحدّث عن جورج حجّار، أريد أن أقرّعكم، واحداً واحداً وواحدة واحدة، لأنّكم لم تسمعوا به بعد. تبّاً لكم ولكنّ. اعرف أنّ ثقافة لبنان فاسدة وموبوءة، وأنّها ترفع حقراءً واتباعاً للاستعمار والاحتلال إلى مرتبة القدّيسين، فيما يقبع أبطال وطنيّون- أحياء وشهداء - في غياهب الطمس والنسيان. كيف هناك جادة باسم شارل مالك وتجهل أجيال لبنانيّة جورج حجّار؟

لم أعرف جورج حجّار ولم التقِ به. كنتُ أراه على الشاشات وأقرأ له مقالات وكتباً. وعندما كان يظهر على «الجزيرة» كنتُ لأحظ أنه مكبوت، وأنّ جهل العالم العربي بتجربته الثوريّة الثريّة ظلمٌ فظيع له - وهو كذلك. وكان يذكر تخرّجه من جامعة «كولومبيا» في الفكر السياسي، وطرده من أميركا في أواخر الستينيّات. وكنتُ أسمع ذلك، وأعتبر عن شكوكٍ لما يُعرف عن اللبناني من نزع نحو التبجّح والمبالغة. لكن قررتُ، في حينه، أن أبحث في الموضوع وصدمني ما اكتشفتُ: أنّ جورج حجّار ثار قبل أن تصبح الثورة شائعة (لفظيّاً) عند المثقّفين العرب، بعد عام 1967. جورج ثار قبل الهزيمة، وازدادت ثورته بعد الهزيمة ولم تسكن عبر السنوات. جورج حجّار طارد بن غوريون في مطارات كندا، في عام 1960. جورج حجّار ما عمل في جامعة، إلّا وطُرد منها بسبب شجاعته وإقدامه ونزعته التي لا تستكين. تحدّث إدوار سعيد عن دور المثقّف في بثّ «رسالة» للعموم. حجّار فهم أنّ دور المثقّف يكمن في التحريض الثوري، ولم تصدّه عن ذلك موانع - لا ماديّة ولا معنوية. حجّار أشجع مثقّف عربي عاش في أميركا وكندا، من دون منازع. هذا مثقّف جاهر بالبسارية الماركسية الثورية في زمن لم تكن الماركثية فيه قد ماتت بالكامل. حدّثني مرّة زميل ماركسي عن تجربته كأكاديمي ماركسي، فقال: تصوّر أن تكون ماركسيّاً في السبعينيّات أو الثمانينيّات. حجّار كان ثوريّاً قبل ذلك، في زمن جي. إدغار هوفر، في «مكتب التحقيقات الفدرالي». لا كندا تحمّلت حجّار (حيث طُرد من جامعة وانرلو الملوثرية)، ولا أميركا تحمّلته إذ طردته بعدما أشعل ثورة في «الجامعة الجنوبية في نيو أورلينز». وعندما أقول إنّه أشعل ثورة أعني ذلك. أشعل حجّار ثورة طلّابية سوداء، وبات دوره مكتوباً في تاريخ حركة الحقوق المدنية في ولاية لويزيانا.

يسرّ المحاضر أن يسمع تصفيقاً في نهاية محاضرته، دليلاً على قبول الحضور لكلمته. لا، لم يكن هذا طموح جورج حجّار. حجّار لم يكن ليرضى بعد إلقاء محاضرته باقلّ من تحريض الطلّاب على الثورة، والانطلاق بعد انتهاء المحاضرة لاحتلال مبانٍ، أو مطاردة قوّات شرطة، أو احتجاز حاكم الولاية، كما جرى في تجربته في نيو أورلينز. لم تتّسع جامعات كندا له، فما كان من جامعة للسود في نيو أورلينز، إلّا أن وجّهت دعوة له للتدريس فيها. لكنّها لم تكن تدري من دعت، وهالها التعرّف إليه عن كثب. الرئيس الأميركي السابق، جيرالد فورد، صرخ - قبل أن يصبح رئيساً - من الكونغرس الأميركي غاضباً، عن هذا الأكاديمي العربي الذي يجرؤ على اعتقال حاكم الولاية. سمعت قيادة الجبهة الشعبية بجورج حجّار في التسعينيّات، ورتّب الشهيد باسل الكبيسي أمر زيارته إلى بيروت، بعد طرده من أميركا وتعثّر حصوله على وظيفة جامعيّة في كندا، أو في أيّ دولة غربيّة. حجّار، خلافاً لنا جميعاً، ضحّى بكلّ شيء مقابل قناعاته ومبادئه، ومن دون تنازلٍ أو هوادة. ليس للحياة قيمة من دون فلسطين، عند حجّار. يروي حجّار سيرته في كتاب «الثوري التائه في عامل متحوّل»، لكنّ الكتاب أصغر من تجربة حجّار. كان يمكن لو أن تشارك في كتابتها مع شخص آخر، ربما لأنّه يمرّ في عجالة على أحداث وشخصيّات مهمّة جداً. كيف يمكن أن يمرّ عرضاً على أشخاص قابلهم وعرفهم، من طراز غسان كنفاني وجورج حبش ووديع حدّاد وانيس صايغ؟ لا، بل إنّ الرفيق جورج نفر من كنفاني. وهنا المشكلة في تجربة جورج: حتى الجبهة الشعبية في عزّها - لا في ترهلها وشيخوختها - لم تتّسع له. والأسباب بعضها شخصيّ وبعضها الآخر سياسيّ عقائديّ. استشرف حجّار الوضع مبكراً، ورأى معالم خيانة القضيّة مبكراً، وحذّر في مؤتمر المجلس الوطني الفلسطيني الثاني عشر، في عام 1974 (الذي حضره بصفة مراقب، ص. 7 - 8) من إمكانية تشكيل مشروع «جمهوريّة أريحا» بعد تمرير البرنامج المرحلي. كان حجّار أكثر دقّة وصواباً من قيادة الجبهة الشعبية، في تقدير الخطر الداهم. صحيح أنّ الجبهة شكّلت، مع غيرها، «جبهة الرفض» في ذلك الحين، لكنّها سرعان ما رضخت لتحويلها إلى جهاز بيد صدّام حسين يستخدمها كما يشاء، ويحلّها عندما شاء ذلك، في عام 1977.

عاش حجّار شظف العيش مبكراً، ويروي طفولته بصدق ومن دون استعطاف. ولم تبدر شكوى من جورج في روايةٍ إفقار العائلة، لكنّه حزن عندما باع جدّه جَدياً، لأنّ جورج كان يناطحه (ص. 17) - لا تتعجّب أنّ جورج نشأ على مناطحة جدي. وجميل أن تقرأ جورج حجّار وهو يروي أحداثاً سياسيّة عاصرها أو شاهدها، لأنّه لا يجمّل ولا يجامل ولا يهادن. رجالات الاستقلال اللبناني؟ لا، هؤلاء عند جورج «أذناب» (ص. 23) المستعمر، وهم بالفعل كانوا ذلك. وقرّر والد جورج أن يضعه في دير المخلّص رغبةً منه في تحويله إلى راهب (ص. 31). لكن من يحبس جورج في دير، هذا الذي عجزت حكومات الغرب والشرق أن تسيطر عليه؟ أرادوا في الدير أن يُخضعوا جورج، كما يخضعون غيره، لكن هيهات. ضاق العيش بجورج وهرب من الدير مشياً على الأقدام، وعاد إلى بلدته القرعون في البقاع.

وفي عام 1952، هاجر جورج إلى كندا، وبدأت رحلة زاوجت بين العمل اليدوي وانتهت في تبوئه مناصب أكاديميّة. لم تدُم بسبب عناده المبدئي. عمل في مطعم، ومسّح أحذية، لكنّه ثابر على تعلّم الإنكليزيّة وتفوّق في الدراسة. لكنّه خلافاً لهشام شرابي في سيرته في «جمر ورماد»، لا يشارك الكاتب المديح الذي تلقّاه من أساتذته، بل يقول لك إنّ الأستاذ كتب على ورقته «ما هذه الخبيصة؟» (ص. 70). وهنا يصعب الجمع بين لغة الثورة واللغة «الأكاديميّة» التي تُفرض على التلميذ (ذكّرني ذلك بي ستوّاتي في الجامعة الأميركيّة، عندما كتب رشيد الخالدي على ورقة بحث أعددتها أنها «مانيفستو» (منشور أو بيان) وكان مقصد رشيد الحسن أن يعيبني على الانسياج مع متطلّبات الدراسة الجامعيّة والترقّي فيها).

عندما تتعرّف إلى سير المثقّفين العرب في الغرب، تجد أنّ معظمهم (مثل إدوار سعيد وهشام شرابي وإبراهيم أبو لغد) ما انصرفوا إلى النشاط السياسي، إلّا بعد

> **جورج حجّار الثائر العالمي الذي لم يترك منطقة مز بها تعتب عليه في الثورة والتمرّد**

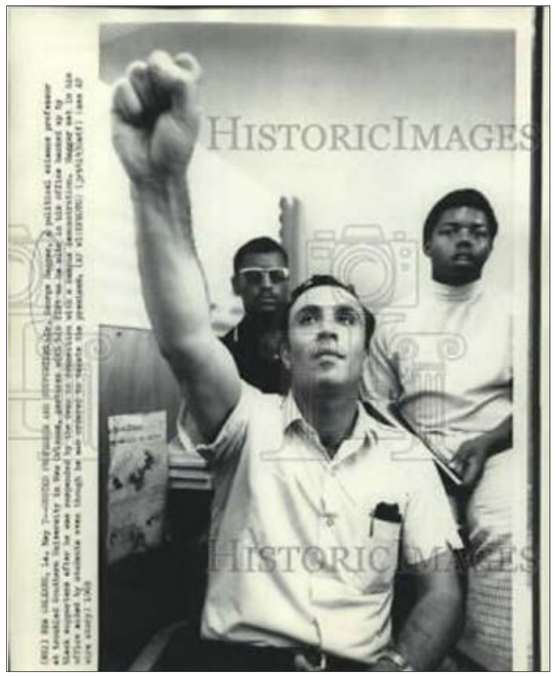

هزيمة 1967. جورج حجّار كان ناطحاً ثائراً قبل سنوات طويلة من هزيمة 1967، وحضر جلسة في مجلس النواب الكندي، في عام 1961، حيث صرخ مُطالباً الحكومة الكنديّة بوقف مشروع القنبلة النووية الإسرائيلية. وبلغ من ثوريّة جورج أنّ خطيبته باتت تعترض على نشاطه، خصوصاً أنّه ما تظاهر أو خطب إلّا ولفت أنظار الصحافة بسبب تطرّفه - أو بسبب صوابيّة رؤيته الاستشرافيّة. الخطيبة شعرت بحرج عندما صدرت الصحيفة الكنديّة، وفيها صورة لجورج حاملاً بأفطة كُتب عليها «فليسقط جنرالات النازيّة» (ص. 88) عن الإمبريالية الأميركية وحروبها. يسمّي جورج نشاطه هذا «التسلية السياسيّة» (ص. 86). رُزق جورج بصبي، في عام 1963، وأطلق عليه اسم برتراند حجّار تيمّناً ببرتراند راسل. حصل جورج على الدكتوراه من جامعة كولومبيا في عام 1966. ولو أنّ جورج لم يكن ثائراً متطرّفاً، لكان قد تلقّى عرضاً بالعمل الفوري في الجامعة الأميركية في بيروت، لكنّ الجامعة ما كان يمكن أن تتحمّل هذا الثائر، ولا يمكن لها أن تتحمّله الآن. حتى الجامعات العربية، في الدول العربية التي كانت تعتبر نفسها ثوريّة (مثل العراق والجزائر) لم تتحمّل جورج. بعدما حورب حجّار من قبل الصهيونية الكندية، وطُرد ظلماً من وظيفته في الجامعة، حطّ في جامعة ذات أغلبية سوداء في نيو أورلينز. سمعوا عن هذا الذي كان يشعل جامعات كندا بحركات التمرّد والانتفاض، وأرادوا أن يُصلوها بعدواه في زمن انتفاضة السود في أميركا.

لا أبالغ في قولي إنّ اسم جورج حجّار يسطع في تاريخ حركة حقوق السود في ولاية لويزيانا. هاكم شهادة المؤرّخ آدام فيرلو في كتابه «العرق والديموقراطية: نضال الحقوق المدنية في لويزيانا، 1915 - 1972». يقول فيرلو عن حجّار إنّ فئة من المحافظين بين الأساتذة السود، لجأت إلى مناشدات عنصريّة فجّة فقط من أجل تقويض مصداقية جورج حجّار. ويعرّفه المؤرّخ على أنّه «أستاذ علوم سياسيّة عربي - أميركي، الذي تمتّع بصيت وتأثير بسبب تنديداته النارية» مثل: «النيغرز الفاشيون وتيغرز المنازل والبورجوازيّة السوداء المازوشيّة والليبراليّون البيض» (ص. 433، وكلمة «نغرز» لها تاريخ تحقيري من قبل البيض ضدّ السود، وهي تُستعمل أحياناً بين السود أنفسهم للتحبّب الشبابي أو لتحقير ذوي النفوس الضعيفة بينهم في التعاطي مع العنصرية البيضاء). حجّار سبق زمانه في تحذيره من خطورة الخطاب والاتجاهات الليبرالية البيضاء. ذهب إلى الأخير في مناصرته لقضايا السود، واختاره قادة الانتفاضة لاحتجاز الحاكم، وهل يمكن لهذا الثائر أن يرفض طلباً من الثائرين، ولو كان ذلك عبر وضعه في موقع المواجهة المباشرة؟ هاكم هذا الأستاذ الجامعي لا يتورّع عن أن يقول لحاكم الولاية بعد احتجازه: «أرجوك أن تأتي معنا وأنا أضمن سلامتك» (ص. 128). يكفي أن تعرف عن هذه الحادثة كي تتعرّف إلى المدى الذي ذهب إليه حجّار لممارسة قناعاته من دون مساومة. عندها تدخّلت الدولة البوليسية، وطاردوا حجّار بالطوّافات ورموه في السجن. هذه حوّلته إلى بطل حقيقي لنضال الحقوق المدنيّة في الولاية وخارجها. وكانت سمعة حجّار تنتشر بين الطلّاب العرب، الذين كان حماسهم بعد حرب حزيران في أوجّه، وكانت مهادنة الأساتذة الجامعيّين العرب تنفّرهم. لهذا، فإنّ المؤتمر السنوي للطلّاب العرب في لونغ بيتش، في عام 1970، اختار حجّار خطيباً أساسيّاً.

عاد حجّار إلى كندا وكان أشرس مناهض للصهيونيّة هناك، إلى درجة أنّك تجد كتابات ضدّه اليوم على بعض المواقع الصهيونيّة. قبل لجورج يوماً - في حماة معاداة الشيوعيّة - «كن شيوعياً صينياً ولا تكن ضد إسرائيل» (ص. 121). وهذه المعادلة لن تزال سارية هنا. ولقد شارك حجّار في تأسيس أولى منظّمات العمل العربي المشترك في كندا، كما ساهم في تأسيس منظّمات طلّابية وسياسية ثورية. ضاقت الدنيا بنيران حجّار. لكن قبل أن يترك كندا، في عام 1972، قاد تظاهرة في العاصمة أوتاوا، وأحرق العلم الأميركي (ص. 161).

وبعدما سُدّت أبواب كندا وأميركا في وجهه، عاد حجّار إلى لبنان بعدما كان قد تعرّف إلى قيادة الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين، في زيارات سابقة. لم تطُل تجربة حجّار في قيادة الجبهة: لم تكن التجربة ممتعة للطرفيْن، وسالتْ عن ذلك مَن عرفه. أتى حجّار بمسحة من التكبّر الثقافي النخبوي في تواصله مع قيادة الجبهة. وهو، مثلاً، يذكر دوماً في إطلالاته أنّه خرّيج جامعة كولومبيا. لكن يا رفيق جورج: أنتَ كتبتَ عن الدور القمعي الخطير للجامعات، ولك كتاب بالإنكليزيّة عن الجامعة («كمكان عبوديّة»، فكيف يمكن أن تعتبر شهادة الجامعة النخبويّة مصدر اعتزاز أو تكفّر؟ ثم إنّك، يا رفيقي، تقول عن غسان كنفاني ورفاقه إنّهم «أناس جهلة» في مناقشتهم لكتابك، وسخرتَ من إنكليزيّة ياسر عبد ربّه. لكن، يا عزيزي جورج: ما قيمة شهاداتنا العالية من جامعات نخبويّة غربيّة أمام مقالة لغسّان في «الهدف»، أو تصميم له للملصق أو مقابلة له، وبالإنكليزيّة مع صحافي أجنبي؟ وهناك ألف سبب وسبب للاعتراض على ياسر عبد ربّه غير لغته الإنكليزيّة الركيكة (طبعاً، ما كان على ياسر عرفات اختياره لتدشين الحوار بين منظمة التحرير والإدارة الأميركيّة، لكن هل قدّر عرفات يوماً الكفاءة فوق الولاء؟).

كان حجّار يعمل على نشر سيرة ليلى خالد، لتعريف الرأي العالمي بالقضيّة الفلسطينيّة (انتشر الكتاب بقوّة وتُرجم إلى لغات عدّة). واعترض غسّان كنفاني وقيادة الجبهة على مخطوط حجّار، ما أثار حنقه. ويقول لي الرفيق نوار هوفسبيان، الذي عرف حجّار في تلك المرحلة، وسكن معه في شقّة واحدة، إنّ العلاقة بين حجّار والجبهة لم تصلح. كان حجّار يتوقّع أن يصبح قيادياً فوراً، بسبب مؤهّلاته الأكاديميّة، فيما كانت قيادة الجبهة ترى أنّ عليه أن يمرّ - مثله مثل غيره - في السلّم التنظيمي الإعدادي لأعضاء الجبهة. وكان حجّار فوقيّاً في التعامل. لكنّ وديع حدّاد قدّره وحاول أن يستفيد من معرفته وقدراته.

وحطّ حجّار رحاله في مركز الأبحاث الفلسطيني، لكنّه لم ينسجم مع أنيس الصايغ. والصايغ (مثل خير الدين حسيب في «مركز دراسات الوحدة العربيّة») كان ينفر من إدارة المركز بطريقة عشوائيّة أو قليلة الانضباط، حتى أنّ الصايغ صنع القهوة والتدخين في المكاتب. انزعج الراحل أنيس لأنّ حجّار كان يسطّر على صفحات كتب مكتبة المركز. لكن لو أنّ حجّار صبر قليلاً على الصايغ لأدرك أنّه شريكه في الجذريّة السياسيّة (ومات جذريّاً رفضيّاً)، خصوصاً أنّ جورج تعرّض - كما يقول الصايغ (ص. 195) لحملة من قبل هشام شرابي وإبراهيم أبو لغد، لأنّه كان يعارض نهج التسوية (شرابي، مثل إدوار سعيد، تغيّر عبر السنوات وأصبح أكثر جذريّة في سنواته الأخيرة). وعندما استُبعد عن ندوة في المركز اعترض، وبحقّ، فاستدعاه كمال عدوان إلى جلسة نقاش. وكان موقف جورج واضحاً وصادماً للمستمعين. دعه يروي لكم ما قاله للحضور: «في حال أنّ القمع والاستئصال قادمان (إلى لبنان) فعلينا أن نحرق (شارع) الحمراء» (ص. 196). طبعاً، لم يكن كلامه موقع ترحيب من قبل «فتح» التي قاومت (وعن خطأ قاتل) الانجرار إلى الصراع اللبناني الذي انتهت فيه مُرحّلة قسراً عن لبنان، في صيف 1982، بعد كمّ من الخطأ والآثام.

خيّر أنيس الصايغ حجّار، بين العمل في المركز والعمل في المقاومة، فقرّر وديع حدّاد أن يتفرّغ جورج للعمل في الجبهة في عام 1972. وشارك في تنظيم مشاريع نشر وطباعة عديدة، بعضها أثمر وبعضها الآخر لم يثمر. وبعد استشهاد غسّان كنفاني، أعدّ حجّار كتاباً بالإنكليزيّة عنه، لكنّه ضمّنه نقداً صارماً لتجربة المقاومة، وألمح إلى أنّ غسّان كان سينتحر لو عاش لسنّ الأربعين. الكتاب لم يرَ النور. يعترف حجّار أنّه كان يتوقّع أن يُعيّن في اللجنة المركزيّة، أو اللجنة التنفيذيّة للإعلام (لكن بسام أبو شريف وتيسير قبّعة نقضا القرار، ص. 201). من المؤسف أن يقرّر تيسير قبّعة مصير هذا الثائر المبدئي النقي، لأنّ حجّار استقال من الجبهة من دون ضجّة. ثم قرّرت منظّمة التحرير الاستفادة من قدراته، في «لجنة الإعلام الموحّد»، لكنّ حجّار سرعان ما اصطدم بماجد أبو شرار، الذي اتّهمه بتحقير «الأخ القائد العام للثورة أبو عمّار» (ص. 210). (لم ينسَ حجّار أن يذكر أنّ إنكليزيّة أبو شرار كانت متواضعة).

ثم حلّ حجّار في جامعة الكويت، لكنّ الإقامة لم تطُل هناك أيضاً، إذ هو كتب في مجلّة «الرسالة» ضدّ النظام السعودي. اعترض وزير الدفاع والأمن (من آل الصباح) وصاح بعميد الجامعة: «شلون مسيحي وشلون شيوعي وشلون يشتم قرابينا» (ص. 231). طُرد حجّار من الكويت، لكن ليس قبل أن يلقي في قاعة المحكمة خطبة ثوريّة عصماء، قد لا تكون قاعات المحاكم في الكويت قد شهدتها قبل وبعد ذلك. عندها، قبل حجّار دعوة من جامعة العراق للعمل في مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة فيها. لكن أحداً لم يقدّر مواهب واندفاع حجّار، وكانت البيروقراطيّة القمعيّة السائدة عائقاً أمام طموحاته الثوريّة، في بلد كان يومها يدّعي الثوريّة و«الرفض». وهناك نشر بحثه عن «جمهوريّة أريحا»، وهذا البحث يجب أن يُسجَّل كإنجاز لحجّار لأنّه استطاع استشراف المستقبل، أفضل بكثير من كلّ عناصر ومنظّمات جبهة الرفض. تركت تجربة العراق في نفس حجّار علقماً، وعلّق بغضب قائلاً: «إنّ بغداد العرب هي بغداد المرتزقة والانتهازيّين وباعة المنشورات الوهميّة» (ص: 278). في بغداد، حافظ حجّار على علاقته بوديع حدّاد، لكنّه لا يُسهب في الحديث في رسم صورة الشخصيّات المؤثّرة التي عرفها. نكتشف منه أنّ حدّاد كان مريضاً، وأنّه عانى منذ عام 1971، من الإحباط والشعور بالإخفاق (ص. 292). وشارك حجّار في التخطيط لعمليّة مقديشو. وعندما مات حدّاد، قال حجّار فيه إنّ «ربع المقاومة قد استشهد دفاعاً عن الحق العربي» (294). وفي عام 1977، شارك حجّار في تأسيس «الحركة الثوريّة العربيّة». حاول «كارلوس» استمالة حجّار بالنيابة عن صدّام حسين، لكنّ حجّار رفض. تجربته العراقيّة أفقدته أيّ أوهامٍ عن الإمكانات الثوريّة للنظام العراقي.

وفي عام 1978، طار حجّار إلى الجزائر ليعلّم في جامعتها، لكنّه سرعان ما اصطدم بالتيارات الأمازيغيّة القويّة في الجامعة، ولم ينقذه استقطابه للطلّاب العروبيّين في الجامعة. ويبدو أن السلطات خافت منه هي أيضاً وركلته، بعدما صادرت منه ما حمله من أموال، وعاد إلى لبنان حيث علّم في الجامعة اللبنانيّة - فرع البقاع. لكنّ حجّار لم يستكن أو يهادن. كان من الأوائل الذين نادوا بالمقاومة ضد العدوان الإسرائيلي، في عام 1982. وجورج صاغ شعار «فلسطينيّو اليوم وأرمن الغد إن لم نقاتل» في 3 تمّوز/ يوليو 1982 (راجع جورج حجّار، «الاجتياح الإسرائيلي للبنان والمقاومة المسلّحة»، ص. 16).

جورج حجّار، الثائر العالمي الذي لم يترك منطقة مرّ بها تعتب عليه في الثورة والتمرّد. هذا الذي أشعل انتفاضات وحركات تمرّد، وساهم في المقاومة، يعيش متقاعداً في القرعون. كيف لا تتسابق وسائل الإعلام على إجراء مقابلات معه لتعرّف جيلاً جديداً عليه؟ هؤلاء الذين يهتفون «أوتاوا» لم يسمعوا قطّ بجورج حجّار. أنا وأنتم ممتنّون لجورج حجّار. حتّ كارل ماركس الفلاسفة على تغيير العالم لا على تفسيره، وحجّار غيّر العالم، أكثر من مرّة وفي أكثر من مكان. ماذا تريدون منه أكثر من ذلك؟ كلّنا نصغر أمام تجربة جورج حجّار.

* كاتب عربي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

الوحدة الفلسطينية المستحيلة

حسين قاسم *

من الغباء تكرار فعل الشيء نفسه مرّات ومرّات، وتوقُّع نتائج مختلفة
اينشتاين

نعم، إنها مستحيلة، هي وحدة الفصائل الفلسطينية. مستحيلة لأنّ المهيْمن على تمثيل الشعب فلسطيني، كان قد حسم أمره، منذ ما قبل أوسلو، للسير في الركب الأميركي، فدخل من بوابة اتّفاقية «السلام» مع المحتل إلى سجنٍ بمُسَمّى سلطة، حكم على نفسه، حكماً مؤبّداً، بالبقاء مقيّداً، لا يستطيع التحرُّر من قيده إذا ما اكتشف خطأه. أما الآخرون، فقد أثبتت التجربة، الممتدة لعشرات السنين، أنهم عاجزون عن الحفاظ على كياناتهم من دون الاتّكاء على التيار المهيْمن، وأنهم مضطرون، ولو بعد تمنُّع، لمجاراته والقبول بما كانوا قد رفضوه سابقاً. نمت هذه المعادلة في أواسط السبعينيات، وتكرّست «شرّاً لا بدّ منه» بعد توقيع أوسلو. ما يُؤسَف له، أنّ ظهور فصائل جديدة مثل «حماس»، وعلى الرغم من أنّها باتت تمثّل قطباً موازياً لـ«فتح»، لم يُسهم في تغيير هذه المعادلة، بل رسّخها. أمّا السبب الأهم لهذه الأزمة المستحكلة، فهو افتقار هذه المنظّمات لمقوّمات الاستقلالية، وعلى الأخص بسبب اعتمادها المالي على جهات خارجية، دولية وإقليمية. فسلطة رام الله غير قادرة على إدارة شؤونها، ولو بحدّها الأدنى، بدون المساعدة المالية الخارجية، ولا سلطة غزة كذلك؛ حتى إنّ الهواء والماء وقوت اليوم، يجب أن يمرّ بإذن من هذا أو ذاك وبتمويل من آخر. على الرغم من كلّ هذا، نشهد صراعاً على السلطة ولّا أشد، وهذا شيءٌ باعثٌ للسخرية.

الوحدة الوطنية شرطٌ أساسيٌّ لتحصيل الحقوق الفلسطينية المشروعة. ويتمثّل تعبيرها السياسي في اتحاد القوى الفلسطينية الفاعلة، أو في التنسيق المنهجي في ما بينها كحدٍّ أدنى. لكنّ السؤال المُلح الآن، كما في السابق: ما العمل إذا فشلت هذه القوى في المهمة الوطنية المنوطة بها مرّات ومرّات؟ ما العمل إذا كان عمر أيّ اتفاق لا يدوم سوى أيام معدودة، وعمر الشقاق يدوم سنواتٍ وسنوات؟ ما العمل إذا كان كلّ اتفاق بينها يأتي لتثبيت التراجع «الرسمي» عن حقٍّ أو مبدأ؟ ما العمل إذا كان الزمن لا يُمهل، فإذا أضعت فرصة يأخذها غيرك، وإذا لم تعالج المرض في الوقت المناسب يصبح مزمناً في حال لم يقتلك؟ ما العمل إذا تحوّل من يتولّى حلّ مشكلاتنا إلى مشكلة لنا؟

انشغلت التنظيمات الفلسطينية، منذ نشأتها، بالوحدة الوطنية. لكن، وإلى الآن، لم تجد هذه التنظيمات الوقت لتحديد مفهوم هذه الوحدة، مكتفية باعتبار الحوار في ما بينها والتوصّل إلى اتفاق شرطَيْن كافيَيْن لإنجاز هذه الوحدة. يقول عبد الله حوراني في مقال له نُشِرَ في جريدة «البيان» الإماراتية، بتاريخ 1999/07/09، «إنّ مفهوم الوحدة الوطنية يعني اتفاق أو توافق مجموع القوى والفعاليات والشخصيات الوطنية والشعبية على برنامج وطني، يجري فيه تحديد استراتيجية العمل الوطني تجاه القضية الوطنية، والتكتيكات المرحلية، وفق كل مرحلة من المراحل، وتجاه كل ساحة من ساحات العمل، داخل الأرض المحتلّة، وعلى المستوى العربي، والإقليمي والدولي». توصّل الحوراني إلى هذا المفهوم الجيّد، بناءً على خبرته الطويلة في منظّمة التحرير، كعضو في لجنتها التنفيذية. على الرغم من أنّ المفهوم بحاجة إلى تطوير، إلّا أنّه يحتوي على قضيّتين رئيسيّتَين لم تحظيا بالاهتمام سابقاً، وهما: الاتفاق على آلية تنفيذ البرنامج الوطني، والتكتيكات الواجب اتّباعها. بالمناسبة، لا يمكن اعتبار البرنامج المرحلي الذي أقرّته المنظمة، في عام 1974، برنامجاً، لأنّه يخلو من هاتين المسألتين. الغريب أنّ القوى المشاركة في هذا البرنامج، وعلى الرغم من إدراكها لأهمية آليّة تنفيذه، وافقت على توكيل القيادة بالأمر، فتصرّفت الأخيرة على هواها.

الوحدة الوطنية الفلسطينية، سواءً من ناحية المفهوم أو شروطها السياسية والتنفيذية، بحاجة إلى دراسة معمّقة لا مجال لمعالجتها في هذا المقال، لذلك أكتفي بالإشارة إلى التالي:

- لا بدّ من النظر إلى صلاحيّة القوى المشاركة في الوحدة الوطنية. إذ لا يُعقل أن يكون طبيبٌ، مات على يديه عشرات المرضى، مديراً لمستشفى، ولا أن يكون الحرامي أمينَ صندوقٍ أو مستودع. لذلك، من المنطقي أن يُطرَح السؤال التالي: هل التنظيمات الفلسطينية، المُجرَّبة مرّاتٍ ومرّات، صالحة لإنجاز الوحدة المنشودة؟ لا بدّ من فحص ذلك، وبناء على الشيء مقتضاه.

- الوحدة الوطنية برنامجٌ، وكذلك عملية متواصلة، إنّها سيرورة؛ وبالتالي، لا بدّ من التركيز، بالإضافة إلى الأهداف السياسية، على الخطة التنفيذية الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف، وكذلك آليّات التقييم والتصويب لسدّ الثغرات غير المتوقّعة.

- شعوراً منها بالمسؤولية، بادرت بعض المجموعات للتصدّي للأزمة المستفحلة، فتمّ الإعلان حديثاً عن تشكيل المنبر اليساري الديموقراطي الفلسطيني، وكذلك المسار الفلسطيني البديل. لا شكّ في أنّ تشكيلهما وتشكيل مجموعات سابقة ولاحقة، في الداخل والخارج، ظاهرة صحّية، لكن لا بدّ من القطع كلّياً مع التجارب السلبية السابقة، والتركيز على بناء حالة شعبية فعّالة غير ملوّثة بنكبات الفصائل الماضية. كما يُستحسن، توجيه الاهتمام نحو البناء التدريجي للتشكيلات السياسية الجديدة وللأطر الشعبية الفاعلة، لتكتسب القدرة على التأثير الإيجابي في مجمل الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. ومن الضروري التعاطي الدائم مع قضايا الحاضر بأفق مستقبلي حتى لا تضيع البوصلة.

الهزيمة اللاحقة بنا اليوم، ليست وليدة الساعة، هي قديمة ومتنامية منذ عشرات السنين، وأبطالها هم الناطقون باسمنا. نعرفُ أنّ القائد الشهم يقدِمُ على الاستقالة إذا خسر معركة، أمّا قادتنا فيرفعون شارة النصر بعد كلّ هزيمة. وما أكثرها. إنّها لوحة كئيبة للمشهد الفلسطيني، لكنّ حياة الشعوب لا تستقيم مع الكآبة، فلا بدّ من مخرج، والمخرج بيد القوى الحيّة وليست المنتهية الصلاحية. والشعب الفلسطيني حيوي، ويملك من الطاقات والخبرات ما يكفي لتصحيح المسار، شرط أن تُستثمَر بطريقة صحيحة من قبل أداة صالحة.

* كاتب وباحث فلسطيني

على الغلاف

تُغامر تل أبيب، ومِن خلفها واشنطن، في ربع الساعة الأخير. يسابق الطرفان الزمن الذي بات لا يتجاوز شهرين يفصلان عن موعد تنصيب جو بايدن، من أجل إرساء أمر واقع يصعب على أحد تجاوزه، بعد اغتيال قاسم سليماني باعتباره المسؤول عن دور إيران الإقليمي، وعملية التخريب التي طالت مفاعل «نطنز» النووي. جاء الدور على آخر ملفّات الاشتباك، والمتمثّل في برنامج الصواريخ الإيرانية، من خلال قتل الرجل الذي يوصف بأنه «أحد أهمّ النخب العلمية المسؤولة عن الصناعات الدفاعية في البلاد». عمليةٌ رُبّما تمثّل نموذجاً من الضربات التي توعّدت بها إدارة دونالد ترامب في آخر أيّامها، فاتحةً، بتنفيذها إيّاها الباب على سيناريوات خطيرة، خصوصاً في ظلّ توعّد إيران بالانتقام من كلّ مَن قرّر وخطّط ونفّذ

إيران تتّهم إسرائيل باغتيال فخري زادة: مغامرة ربع الساعة الأخير

زكريا أبو سليسك

بعد وقت ليس بالقليل على تضارب الأنباء الواردة من طهران حول مصير العالم الإيراني، محسن فخري زاده، خرجت وزارة الدفاع لتقطع الشكّ باليقين، وتُعلن عبر بيان لها أن «رئيس مركز الأبحاث العلمية في الوزارة محسن فخري زاده استشهد في هجوم إرهابي مسلح»، مؤكدة «فشل محاولات إنقاذ حياته»، فيما أفادت وكالة «تسنيم» بأن «فخري زاده فارق الحياة بعد نقله إلى المستشفى إثر إصابته بجروح خطيرة».

الإعلان الرسمي عن مصير العالم الإيراني تبعته سلسلة مواقف رسمية أخرى لم تكتف بالتنديد بعملية الاغتيال، بل حملت اتهامات واضحة لإسرائيل كما جاء في التغريدات التي كتبها كلّ من وزير الخارجية محمد جواد ظريف، ومستشار المرشد للصناعات الدفاعية حسين دهقان، إذ اعتبر الأول في تغريدته إن «هذا الجبن المتمثل في قتل العالم الإيراني البارز يحمل مؤشرات جدية على الدور الإسرائيلي، ويظهر محاولة الجناة اليائسة لإثارة الحرب»، فيما حذر الآخر من أن «الكيان الصهيوني يدفع باتجاه حرب شاملة»، متوعداً بأن «يدفع الصهاينة ثمن الاغتيال»، مؤكداً أن «ردّنا سينزل كالصاعقة على القتلة». كذلك، هدّد رئيس هيئة الأركان المشتركة الإيرانية، اللواء محمد باقري، بأن «انتقاماً صعباً سيكون في انتظار المجموعات الإرهابية وقياداتها المسؤولة عن هذا الاغتيال»، جازماً أن بلاده «لن تتوانى عن مطاردة ومعاقبة المسؤولين عن اغتيال العالم محسن فخري زاده». أمّا رئيس البرلمان الإيراني فكان أكثر وضوحاً في تحديد الجهات التي سيشملها الردّ الإيراني بقوله إن «انتقامنا سيشمل كلّ مَن نفّذ ووقف خلف اغتيال محسن فخري زاده».

ويأتي الاتهام الإيراني الموجّه بالتحديد إلى إسرائيل منذ اللحظات الأولى، وحتى قبل تقديم رواية رسمية عن تفاصيل عملية الاغتيال، على ضوء سعي تل أبيب الواضح خلال السنوات الماضية إلى إيقاف عجلة التقدّم في برنامجَي إيران النووي والصاروخي، فضلاً عن محاولاتها إنهاء النفوذ الإيراني في المنطقة أو الحدّ منه. ومثّلت إسرائيل أوّل الداعمين لسياسة «الضغط الأقصى» التي لا تزال إدارة الرئيس الأميركي المنتهية ولايته، دونالد ترامب، تمارسها ضدّ إيران، من أجل دفعها إلى الجلوس إلى مائدة تفاوض تشمل الملفّات الثلاثة دفعة واحدة، وذلك للتعويض عن انسحاب الإدارة الأميركية والإسرائيلية المطلوبة في إطاره. فالانفجار، بحسب المتحدث باسم «هيئة الطاقة النووية الإيرانية» بهروز كمالوندي، أدّى إلى «إبطاء تطوير وإنتاج أجهزة طرد مركزي متطوّرة على المدى المتوسط». وعلى رغم عدم تبنّي أيّ جهة لهذا التفجير، إلا أنه وفق آخر التصريحات الإيرانية التي جاءت على لسان مستشار المرشد لشؤون الصناعات الدفاعية حسين دهقان «حدث بسبب تخريب صناعي».

أخيراً، ومع بدء العدّ التنازلي لانتهاء ولاية ترامب، وفي ظلّ المؤشّرات القادمة إلى نهج مختلف ستتبعه إدارة الرئيس المنتخب جو بايدن مع طهران، يبدو أن إسرائيل استنفرت طاقاتها للاستفادة من هامش الوقت الذي يسبق تسلّم بايدن مهماته رسمياً في سبيل توجيه ضربة لإيران في ملف الاشتباك الثالث المتمثل في البرنامج الصاروخي، فاختارت العالم الإيراني محسن فخري زاده طهران ما زالت ترفض الانصياع للمطالب الأميركية، وهو الأمر الذي دفع إدارة ترامب في عامها الأخير إلى مواكبة تلك السياسة بعمليات عسكرية وأمنية تساهم في تحقيق ما تصبو إليه على صعيد الملفات الثلاثة قبل نفاد الوقت، حيث بدأت هذا العام باغتيال قائد «فيلق القدس» الإيراني الجنرال قاسم سليماني ونائب قائد «الحشد الشعبي» العراقي أبو مهدي المهندس في غارة جوية بالقرب من مطار بغداد الدولي، وهو ما عُدّ في حينه استهدافاً مباشراً لدور إيران الإقليمي من أجل إنهائه أو إضعافه كحدّ أدنى، وذلك انطلاقاً من كون سليماني هو المسؤول الإيراني المباشر عن هذا الدور.

أمّا في الشقّ النووي، فلم ينفصل انفجار منشأة «نطنز» النووية منتصف العام عن سياق الأهداف الأميركية والإسرائيلية المطلوبة في إطاره. فالانفجار، بحسب المتحدث باسم «هيئة الطاقة النووية الإيرانية» بهروز كمالوندي، أدّى إلى «إبطاء تطوير وإنتاج أجهزة طرد مركزي

تؤكد طهران، على لسان مسؤوليها، بأن «يدفع الصهاينة ثمن الاغتيال» (أ ف ب)

تستنفر إسرائيل طاقاتها للاستفادة من هامش الوقت الذي يسبق تسلّم بايدن مهماته

الآن. إذ على رغم الضغط الاقتصادي الذي تعيشه إيران جرّاء العقوبات الأميركية المتلاحقة عليها منذ انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي في أيار/ مايو 2018، إلا أن طهران ما زالت ترفض الانصياع للمطالب الأميركية، وهو الأمر الذي دفع إدارة ترامب في عامها الأخير إلى مواكبة تلك السياسة بعمليات

تل أبيب تحتفل بقتل «أبو النووي الإيراني»: في انتظار التصعيد؟

يحيى دبوق

تَبنّت إسرائيل، بشكل غير رسمي، عملية اغتيال «أبو القنبلة النووية الإيرانية». ذلك أن ابتهاج مُعلّقي وسائل الإعلام العبرية، الذين سارعوا إلى إعلان نبأ الاغتيال دفعة واحدة وكأنهم كانوا في انتظار إشارة البدء، بدا لافتاً وذا دلالة، وإن فُصّل المسؤولون في تل أبيب الصمت حتى الآن، في ظلّ تلميحات من أعلى الهرم السياسي.

بلا جدال، يقدر الخسارة الإيرانية، ناتي الفائدة الإسرائيلية جزاء اغتيال العالم النووي البارز، رئيس «منظمة البحث والتطوير» في وزارة الدفاع الإيرانية، محسن فخري زاده. لكن السؤال الأبرز هو: هل الهدف النهائي لَمن اتخذ قرار الاغتيال، بغضّ النظر عمّا إن كان التنفيذ مباشرة منه أو عبر وكلاء، هو فخري زادة، أم أن الهدف أيضاً، وربّما جملة الأهداف، مرتبطة كذلك بما سيَعقب ردّة الفعل الإيرانية على العملية، التي ربّما تفتح على سيناريوات تصعيد في مرحلة يمكن وصفها بالأكثر من حساسة، إلى حين رحيل الإدارة الأميركية الحالية التي ما زالت تمسك بالقرار في واشنطن.

الواضح، ومن دون جدال أيضاً، أن الجانبَين الإسرائيلي والأميركي هما الجهتان المُتّهمتان تلقائياً بالوقوف خلف الاغتيال؛ إذ إن حادثاً كهذا، كما ورد في تعليقات الإعلام العبري أمس، «بإمكان إسرائيل والولايات المتحدة فقط تنفيذه». مع ذلك، سواء كانت واشنطن شريكة تل أبيب في قرار الاغتيال وتنفيذه، مباشرة أو عبر وكلاء، أو أن الإدارة الأميركية اكتفت بالمصادقة على العملية، وهو الأرجح، فالنتيجة تكاد تكون واحدة، علماً بأن تلميحات تل أبيب الرسمية لجهة مسؤوليتها عن الحادثة كانت واضحة جدّاً، وسريعة جداً، خلافاً لما حدث في الاغتيالات السابقة.

المعرفة والخبرة والدراية النووية لدى إيران باتت بعيدة عن السقوط مع استهداف أشخاص

في استشراف الأهداف الإسرائيلية و/ أو الأميركية، من الضروري التشديد على أن خسارة إيران لمحسن فخري زادة، وإن كانت كبيرة ربطاً بموقعه وإنجازاته، إلا أنها لا تعني بالمطلق خسارة المعرفة والخبرة والدراية النووية، التي باتت بعيدة عن السقوط مع استهداف أشخاص، على رغم تأثيرهم وأهميتهم. والأكيد أيضاً، وهو ما بات محلّ إقرار من قِبَل أعداء إيران وخصومها، تجاوز الملف النووي الإيراني نقطة اللاعودة منذ زمن بعيد جداً، بحيث باتت الخبرة والمعرفة مترسّخة، والنتائج النووية الكاملة لهذه المعرفة، في الاتجاه المدني السلمي و/ أو العسكري، مرهونة بالإرادة، وليس بالقدرة التي باتت في حوزة صاحب القرار في طهران.

على ذلك، ما الهدف من الاغتيال إذاً، طالما أنه لا يمسّ، فعلاً، بالقدرة النووية لإيران؟ سؤال لا ينفكّ، بطبيعة الحال، عن التغيير المقبل في الإدارة الأميركية، وكأن هناك مَن يريد تثبيت واقع ما، في هذا الاتجاه أو ذاك، في سباق مع زمن محدود نسبياً. وكأن رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، سارع في أعقاب انتشار نبأ الاغتيال، إلى التغريد عبر «تويتر» من خلال كلمة مصوّرة في حسابه، قال فيها: «أنا أريد أن أشاركم قائمة أمور قمت بها هذا الأسبوع، وهي قائمة جزئية، لأنني لا أستطيع أن أقول لكم كلّ شيء». وانتظر هذا المقطع في إسرائيل بوصفه إقراراً غير مباشر من نتنياهو بمسؤولية إسرائيل، ومسؤوليته شخصياً، عن اغتيال فخري زادة، مع التذكير بأن رئيس الإيراني منذ نشأته. وإن أكثرت معظم التعليقات من الأسئلة من دون أجوبة عن مقاصد الاغتيال، وركّزت على فائدته المباشرة اللحظوية في «الانتهاء» من «أبو القنبلة النووية»، إلا أن اللافت هو التركيز على كثير من الإشارات الدالة على مسؤولية إسرائيل، وإن لم تَتبنّ الأخيرة ذلك رسمياً. في الموازاة، كان بارزاً أيضاً التذكير بأن فخري زادة، «الخبير كذلك بالصواريخ البالستية»، قرّرت إسرائيل اغتياله قبل سنوات، إلا أن الموساد والاستخبارات العسكرية «أمان» (موقع والا العبري) أخفقا عملياتياً في استهدافه بعد فشل عملياتي مرتكز على فشل في تحديد موقعه.

(أ ف ب)

حجم التعليقات الإسرائيلية، التي يصعب تصوّر تقلّصها في الأيام المقبلة، كان كبيراً ولافتاً وموجّهاً لإثارة الطرف الآخر. لكن ما برز فيها إشارة «القناة 12» العبرية إلى أن «اغتيال فخري زادة لن يؤثر على تقدّم البرنامج النووي الإيراني ولن يعرقل تقدّمه»، الأمر الذي يفتح الباب واسعاً على سيناريوات وفرضيات، ترتبط بحقيقة الأهداف لدى من قرّر وشارك.

وزراء العدو ذكر بنفسه اسم العالم الإيراني المغتال في عام 2018، طالباً في حينه من الجميع أن «يتذكّروا هذا الاسم جيداً: محسن فخري زادة». أمّا مكتب نتنياهو فامتنع عن الإجابة عن الأسئلة التي وُجّهت إليه من قِبَل وكالة «رويترز»

وكان الإعلام العبري قد ضخّ أمس بالتعليقات على الاغتيال، مع «ضخّ معلومات» عن فخري زادة ودوره وتأثيره في المشروع النووي

تقرير

العدوان على اليمن... بريطانيّ فرنسيّ أيضاً

لقمان عبد الله

منذ اللحظة الأولى للحرب على اليمن، التي أُعلنت من واشنطن ربيع عام 2015، عندما كان الرئيس الأميركي المنتخب، جو بايدن، والذي يدور الحديث اليوم عن إمكانية إقدامه على خطوات مضادّة لمشاركة بلاده في هذه الحرب، نائباً للرئيس الأسبق باراك أوباما، بدا انخراط الولايات المتحدة في العدوان واضحاً، ليتأكّد أكثر فأكثر طيلة أكثر من خمس سنوات، شأنه شأن الدورين الفرنسي والبريطاني، سواء في العمليات العسكرية والاستخباراتية، أو التغطية السياسية، أو صفقات التسلّح الضخمة للسعودية. وهي أدوار يمكن تلخيصها وفق الآتي:

1- المشاركة الأميركية: منذ بداية الحرب، شاركت واشنطن في خطّة الدعم اللوجستي والاستخباري والعسكري، وأنشأت غرفة عمليات مشتركة مع السعوديين، فضلاً عن خلية التخطيط وتبادل المعلومات، وربطت تلك المنظومة بالأقمار الصناعية الأميركية (التابعة للبنتاغون)، كما تولّت تزويد الطائرات الحربية بالوقود جواً، والمشاركة في اختيار الأهداف التي يقصفها التحالف السعودي - الإماراتي، والمشاركة البحرية في تفتيش السفن في بحري العرب والأحمر. كذلك، بدأت قوات أميركية تُسمّى مجموعة «القبعات الخضراء» عملها عام 2017 على الحدود السعودية - اليمنية، حيث تركّزت مهمّتها على عمليات «البحث والتدمير» المتعلّقة بالصواريخ البالستية ومنصّات إطلاقها من داخل اليمن. وبحسب مصادر عسكرية في صنعاء تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن حجم التمكين الأميركي للطيران السعودي، من حيث الدقة والرؤية النهارية والليلية والقدرة التدميرية، بات مساوياً لنظيره في الكيان الإسرائيلي. وما تجدر الإشارة إليه، أيضاً، هو أن أيّاً من صفقات الأسلحة المبرمة مع الرياض لم تتوقف في نهاية ولاية أوباما، على رغم تأكيد الكونغرس والعديد من منظمات حقوق الإنسان عدم قانونيتها. أمّا في عهد ترامب، فقد ارتفع ثمن مبيعات السلاح إلى الرياض بشكل فلكي ليصل إلى 110 مليارات دولار أميركي.

2- المشاركة البريطانية: تتولّى كوادر السلاح الملكي البريطاني العمل مباشرة مع إدارة مركز عمليات التحكّم والسيطرة العسكري السعودي، على تحديد بنك أهداف القصف، وطبيعة المهمّات، والأسلحة التي ستُستخدم فيها، والتنسيق مع كوادر «البريطانية لأنظمة الطيران» لتنفيذها، وتحضير القذائف والمعدّات والطائرات وفق البرنامج الزمني المتّفق عليه مع السعوديين. كلّ ذلك يعني ببساطة أن الجزء الجوي من الحرب على اليمن تتولّاه بريطانيا بالكامل: الطائرات والقذائف وإدارة العمليات والصيانة والتدريب والتنفيذ، وربّما حتى بعض الأصابع التي تطلق الصواريخ على المواقع اليمنية. وتشمل المشاركة أيضاً البرمجيات والمستشارين. والمعلوم أن نحو 6300 فرد من الخبراء والمستشارين من أفراد سلاح الجو الملكي البريطاني يتواجدون في السعودية لتقديم المشورة والتدريب. وتدّعي الحكومة البريطانية أن هؤلاء الأفراد لا يشاركون مباشرة في الحرب أو تحميل الأسلحة أو في التخطيط لطلعات العمليات، غير أن أحد الضبّاط المشاركين (رفض الكشف عن اسمه) أكد في مقابلة صحافية أن عملهم يشمل القطاعات العملية والفنية كافة، مُقلّلاً في المقابل من دور الضباط والجنود السعوديين. كذلك، ذكرت إحصاءات بريطانية أن مبيعات الأسلحة البريطانية زادت بأكثر من ثلاثة أضعاف في الفترة ما بين عامَي 2012 و2017، مقارنة بالسنوات الخمس السابقة.

بدأت قوات أميركية تسمّى «القبعات الخضراء» عملها عام 2017 على الحدود السعودية - اليمنية (أ ف ب)

الجزء الجوي من الحرب على اليمن تتولّاه بريطانيا بالكامل

3- المشاركة الفرنسية: كشف تحقيق لموقع «ميديا بارت» الاستقصائي الفرنسي، منذ أيام، أن العديد من الشركات الفرنسية تقوم بتدريب جنود في الجيش السعودي، وهي لم تتوقف عن نشاطها هذا منذ بدء الحرب. وجاء في التقرير أن السعودية استخدمت في العدوان الطائرات والمدرّعات والسفن وحتى الصواريخ التي اقتنتها من فرنسا في السنوات الأخيرة. كما اعتمدت، بتكتّم كبير، على الخبرة الفرنسية لتدريب قواتها المقاتلة على استخدام مدافع «قيصر» الفرنسية الصنع. كذلك، شاركت البحرية الفرنسية في الهجوم على مدينة الحديدة عام 2018، إلا أنها عمدت إلى تغليف مشاركتها بذريعة نزع الألغام من الممرّات البحرية حول ميناء الحديدة. وفي آذار/ مارس 2016، عندما دخل جزء من الأسطول السعودي أحواض الصيانة الفرنسي، حلّت سفن فرنسية محلّه في عمليات القتال والمراقبة بموجب اتفاق موقّع مع «هيئة تصنيع السفن» الفرنسية، حيث دخل 39 زورقاً سريعاً فرنسياً، تمّ تسليمها خلال الفترة نفسها، في دوريات الحصار. وفي العام نفسه، أنجزت فرنسا تحويل هبة المليارات الثلاثة لتسليح الجيش اللبناني المقرّرة عام 2014، بعد إلغائها، لمصلحة العمليات السعودية في اليمن. كما سَلّمت، في عام 2017، الرياض ما يساوي 1,4 مليار يورو من الأسلحة، وهو رقم يفوق مبيعات السنوات السابقة التي كانت أصلاً مرتفعة (1 مليار في عام 2016، وتسعمائة مليون يورو في عام 2015).

بريطانيا «تحرس» حقول النفط السعودية

يتكشّف تباعاً مدى فاعليّة الدور البريطاني المساند للعدوان السعودي على اليمن. إذ يبدو أن دور لندن العمليّاتي توسّع، أخيراً، ليشمل «حراسة» حقول النفط السعودية، في أعقاب استهداف منشآتي «أرامكو» النفطيتَين على يَد حركة «أنصار الله». في هذا السياق، كشفت صحيفة «ذي إندبندنت» أن الحكومة البريطانية نشرت قوّات عسكرية في الرياض لـ«الدفاع عن حقول النفط»، من دون أن تُشاور البرلمان بالخطوة التي قالت أحزاب المعارضة إنها تفتقر إلى «البوصلة الأخلاقية». خطوةٌ برّرتها وزارة الدفاع البريطانية بقولها إن حقول النفط السعودية تمثّل «بنية تحتيّة اقتصادية بالغة الأهمية»، ما استدعى الحاجة إلى نشر مدافع من الفوج الـ 16 للمدفعية الملكية لمساعدة المملكة في صدّ هجمات الطائرات المسيّرة بعد التشاور مع وزارة دفاعها وشركاء دوليين. واشتملت مساهمة لندن، وفق ناطق باسم الوزارة، على نشر نظام رادار عسكري متقدّم للكشف عن الطائرات المسيّرة. وهو ما أكّده وزير القوّات المسلحة، جيمس هيبي، في مراسلات كتابية للصحيفة، بقوله إن «أفراد الدفاع البريطاني رافقوا نشر منظومة رادارات جيراف (الزرافة) في الرياض»، لافتاً إلى أن الخطوة «دفاعيّة بحت، وتساعد السعودية في مواجهة التهديدات الحقيقية». وبدأ نشر القوّات البريطانية وإرسال العتاد العسكري في شباط/ فبراير الماضي، بعد أشهر قليلة من قرار محكمة الاستئناف في لندن حظر تصدير المعدّات العسكرية إلى الرياض لـ«خشيتها» من أن تُستخدم ضدّ اليمنيين.

(الأخبار)

رحيل

الصادق المهديّ الإمام القلق

جعفر البكلي

كانت الليلة الأخيرة في شهر آذار/ مارس 1970 واحدة من أكثر الليالي حزناً في حياة الصادق المهدي. فقد جيءَ به من معتقله في مدينة شندي إلى مطار الخرطوم مخفوراً مقهوراً. ووجد الزعيم السوداني على مدرج الطائرة العسكرية التي ستقلّه إلى منفاه المصريّ، آمَه السيدة رحمة، وزوجته السيدة سارة. فانْدهش لوجودهما في هذا المكان، ولم يكن أحد قد أنباه مسبقاً بأن النميري سمح للسيّدتين بمرافقته في رحلته القسرية إلى القاهرة. بدت

كثيراً ما استمع الصادق في صباه إلى حكايات جدّه عبد الرحمن وهو يروي قصة عذابه على يد الغزاة

الأم والزوجة شاحبتين كسيفتين في ثوبيهما الأبيضين. وعانقهما الصادق بإشفاق، فهو لم يتسنَّ له أن يراهما منذ أن اندلعت الأحداث الدموية في الجزيرة أبا. وبعدما صعد المهديّ وأهله إلى طائرة "الأنتونوف 12" فوجئ بوجود رفيق على متنها ما توقع أن يراه في هذه الرحلة العجيبة. ولم يكن ذلك الرجل الذي شُحن هو الآخر إلى المنفى المصريّ، سوى عبد الخالق محجوب زعيم "الحزب الشيوعي السوداني". وافترّت شفتا زعيم الأنصار عن ابتسامة خفيفة وهو يرى أن الديكتاتور ادّخر له "رفيقاً" ليؤنسه في سفرة المنفى.

وتقدّم المهديّ نحو محجوب ومدّ يده مسلّماً بادب على الرجل، وعلى زوجته السيدة نعمات التي تجلس بجواره. ثمّ بادره قائلاً: "وقد يجمعُ الله الشتيتيْن بعدما/ يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا". عندئذ تبسّم محجوب، ثم تأمّل قليلاً، وأكمل منشداً: "ولم أرَ مثلي من يُساق لحتفه/ إليكَ عنّي لا يكُنْ بكَ ما بيَا".

الأسرة المنكوبة وحكاياتها المنكودة

لم يزل شبح الحتف يتراقص فوق هامة الصادق المهديّ وأمام ناظريه منذ أن نشأ في بيت أبيه يتسمّع قصص مصارع أجداده. ذلك أن الإنكليز لم يتوانوا البتّة عن التنكيل بآل المهدي واستئصال شأفتهم. وبلغ بهم البغي حدّاً كادوا فيه يبيدون سلالة المهديّ بأكملها. وكثيراً ما استمع الصادق في صباه إلى حكايات جدّه عبد الرحمن وهو يروي قصة عذابه على يد الغزاة وأتباعهم. وكيف شاهد بعينيه، وهو لما يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، جنوداً مصريين يرمون في نهر النيل بجثّتي أخويه الفاضل والبشرى بعدما أثقلوهما بالحجارة. وكيف ساق اللورد كتشنر كلّ ذكور سلالة المهديّ أسرى إلى مدينة رشيد شمال مصر، ما عدا عبد الرحمن، فقد ظنّوا أنه لن يلبث حتى يموت بسبب الجراح التي أثخنت جسده الصغير في معركة الشكابة. كذلك، نشأ الصادق المهديّ مثقلاً بأحاديث المظالم التي لحقت بأسرة اعتقد جدّها الأكبر يوماً في نفسه أنه الإمام المهديّ المنتظر، وأنّ النبي محمداً يلتقيه ويحدّثه ويستخلفه على أمّته ويأمره أن يكمّل رسالته، فمن أمن به ـ بعدئذ ـ فقد عصم نفسه، ومن لم يؤمن فقد كفر.

ولم يدّر الصادق المهدي لِمَ خطرت له، وهو في الطائرة التي تقلّه إلى منفاه، صورة جدّه الإمام عبد الرحمن؟! لم يكن الإمام عبد الرحمن عالماً، وكان قصارى علمه حفظ آيات من القرآن. ولم يكن ابنه الإمام الصدّيق (والد الصادق) أكثر علماً من أبيه. لكنّ الجدّ وأبناءه ورثوا مكانة ووجاهة في عيون أنصارهم سمت بهم إلى مقام الإمامة، من دون أن يكون لهم من شروط الإمامة نصيب مذكور. ولم يلبث البريطانيون طويلاً حتى استوعبوا تلك المنزلة الخاصة التي تحتلّها السلالة في قلوب الأنصار، فسعوا إلى الاستفادة من هذا الإرث ليخدموا به مصالحهم. وسرعان ما تبدّلت السياسة البريطانية تجاه آل المهديّ من التعسف والأذى إلى الاستمالة والمصانعة. وسريعاً ما وجد الإمام عبد الرحمن أنه صار بين يديه إقطاع ضخم يدرّ عليه من المال خيراً كثيراً. أكان ذلك سبب ولائه ووفائه للإمبراطورية التي قضت يوماً على دولة أبيه وقتّلت أنصاره؟ يُروى أن عبد الرحمن المهديّ زار لندن مرة واحدة في حياته. وكان ذلك أثناء احتفالات الإمبراطورية بالانتصار في الحرب العالمية الأولى. وأحضر البريطانيون وفوداً من أعيان المستعمرات ليباركوا للملك جورج الخامس نصره العظيم. واختير عبد الرحمن المهدي ضمن وفد السودانيين، واختير معه علي الميرغني وكان هو الآخر من صنائع الإنكليز والمصريين. والميرغني هذا قاتل ومعه فئة من الطائفة الختمية، ضمن جيش الغزاة ضدّ أبناء جلدته. فلم يكن غريباً حينئذ أن يختاره البريطانيون، وأن يجعلوه رئيساً لوفد السودانيين. وأحبّ عبد الرحمن المهدي، وهو يرى حظوة الميرغني عند الإنكليز، أن يصنع شيئاً يلفّت به أنظار الملك. وحينما أتى دوره لتهنئة صاحب الجلالة قدّم سيفاً فخماً للملك، وهو يقول له: "هذا سيف أبي الذي حارب به بريطانيا العظمى أقدّمه لكم، يا جلالة الملك، عربون إخلاص". وأجابه جورج الخامس قائلاً: "بل يبقى لك ولذرّيتك من بعدك كي تحاربوا به أعداء الإمبراطورية".

«ما أتى المستعمر إلى السودان إلا في عربة يجرّها مصريون كالبهائم!»

ظلّ الصادق المهديّ مكتئباً قلقاً طوال ساعات السفر في طائرة الشحن المصرية. لم يكن راغباً في الذهاب إلى مصر، ولو خيّروه لاختار منفاه في أيّ بلد آخر عدا مصر. أتراه ورث في نفسه أوزار ضغائن أسرته القديمة ضدّ الحكام المصريين؟! بلى. إن دماء أبناء طائفته ما زالت اليوم طريّة ندية في الجزيرة أبا. وجثث المئات من أنصاره الذين أبادتهم طائرات مصرية!، لم تبرح ملقاة في الفلاة تأكلها الضواري. ثمّ إن مصرع عمه الهادي بالأمس ما فتئ يخنق صدره. صحيح أنهما اختلفا طويلاً، ولكنّ الهادي ما هو إلا عمّه، وهو لحمه ودمه. وهل يصير الدم، أيها الصادق، ماءً؟! يقولون إن المصريين أسهموا بقتله؟، وإن عبد الناصر أوفد لهذه المهمة نائبه أنور السادات، ورئيس جهاز مخابراته أمين هويدي! ويسأل الصادق نفسه بحيرة: لماذا ألحّ عبد الناصر على النميري أن يبعثه إليه؟! لم يكن الرئيس المصري يحمل، في يوم من الأيام، وداً لآل المهدي. فما الذي يجعله يسعى في إنقاذه من بطش النميري؟! نعم، إن ما يدفعه لحماية محجوب واضح. فالمودّة القديمة بينهما. وصلاتها تمتدّ منذ أيام السويس. لعلّ تقديراً خاصاً لشخصيته الدمثة هو ما جعل ناصر يشمله بمظلّته، بيد أن المظلّة المصرية لم تشمل عمّه الهادي أبداً؛ كان عبد الناصر يكره الهادي. وكان الأخير يبادله كرهاً بكره. وكان ناصر يحتقر صديق (والد الصادق)، ويحتقر أباه عبد الرحمن منذ أن انكشفت فضيحة صلاتهما بالإسرائيليين[3].

ولا شك أن النفور من المصريين كان دِيدن آل المهديّ أيضاً. فلم ينسوا قطّ أن جيرانهم الشماليين هم الطامعون دوماً في تملّك بلادهم. إن هذه هي سياسة مصر كلّما قويت شوكتها، منذ أيام الفراعنة. ولقد كان يحلو للإمام عبد الرحمن المهدي أن يردّد متفكّهاً: "إن المستعمر لا يأتي إلى السودان إلا في عربة يجرّها مصريون كالبهائم!". وفي المقابل، لم توفّر الصحافة المصرية يوماً سهماً من سهامها من دون أن تطلقه على آل المهديّ. فهم "صنيعة الإنكليز"، وهم "الإقطاعيون الجشعون الذين يوالون المستعمر أملاً بأن يسلّمهم عرش بلاد السودان"، وهم الذين "يكيدون لمصر ويطمعون في سلب جزء من أرضها" (يقصد بذلك مثلث حلايب).

■■■

استقرّت عجلات طائرة الشحن المصرية أخيراً فوق مدرج مطار الماظة. وفُتح باب الطائرة. فهبط منها الرجلان: المهدي ومحجوب. ووجدا في استقبالهما رجلاً أنيقاً مبتسماً، قدّم نفسه لهما بصفته يعمل سكرتيراً في رئاسة الجمهورية المصرية. وأخبرهما أنه مكلّف بخدمتهما. حملت الرجلين وعائلتيهما سيارتان

الإنكليز لم يتوانوا البتّة عن التنكيل بآل المهدي واستئصال شأفتهم

إلى منطقة العباسية. وهناك مُنحت للمهدي وأسرته فيلا جميلة كي يقيم فيها. وفي اليوم التالي، جاء إليه سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر، ومعه محمد حسنين هيكل، وأخبراه بأن الرئيس عبد الناصر يقدّره تقديراً خاصاً، وأن مصر هي بلده التي يعيش فيها كما يشاء، وأنّ بيت عبد الناصر ومكتبه مفتوحان له، فهو مُرحّب به متى أراد أن يزور الرئيس. وأضاف الزائران إنه لا يجب أن يخطر في باله أنه في منفى. فإن أحبّ أن يرجع إلى السودان فسيرجع فوراً. وتبسّم الصادق المهدي، وقال بحصافة: "إنني هنا سعيد بين إخوتي وأهلي، وإن مصر والسودان بلد واحد ذو تاريخ وتراث متصل".

لم يكن راغباً في الذهاب إلى مصر، ولو خيّروه لاختار منفاه في أيّ بلد آخر عدا مصر (أ ف ب)

الهوامش:

1- ردّد الصادق المهدي كثيراً أن طائرات مصرية شاركت بالفعل في قصف الجزيرة أبا. وحينما نعى حسني مبارك بعد موته، لم ينس المهدي أن يشير إلى دوره في "قصف مواطنين سودانيين عزّل في الجزيرة أبا". لكن الروايات عن دور الطيران المصري في أحداث الجزيرة أبا مبالغ فيها. فالدور الأساسي في قمع تمرّد الأنصار قام به سلاح الجو السوداني. وربما عاون المصريون بتوفير طائرات من طراز "تبولوف"، ولا شك أنهم خشوا أن تنفلت الأمور في السودان، ويعود أنصار المهدي إلى سيرتهم الأولى في العداء لمصر.

2- أشيع كثيراً أن لمصر دوراً ما في اغتيال الهادي المهدي. وزُعِم أن سلّة من المانغو فيها قنبلة دُسّت للرجل وقضت عليه. لكن الواقع هو أن الرجل مات بالرصاص، بعدما قُبض عليه قرب مدينة الكرمك، وهو هارب نحو إثيوبيا، ثمّ صدرت أوامر النميري حاسمةً للتخلّص منه.

3- اعترف الصادق المهدي في حوار مطوّل له بثّته قناة "الجزيرة" ضمن برنامج "شاهد على العصر" بعلاقات والده صدّيق المهدي مع الإسرائيليين، وباللقاءات التي تمّت معهم في سفارة الكيان الصهيوني في لندن. وتعلّل الصادق المهدي بأن جميع القادة العرب ـ بمن فيهم عبد الناصر نفسه ـ اتصلوا بالإسرائيليين، وأنه لا قيمة لتلك الاتصالات ما دامت لم تنته إلى نتائج واضحة. لكنّ مُحاور الصادق المهدي لم يسأله عمّا كشفه موشيه شاريت في مذكّراته عن زيارة قام بها جدّه عبد الرحمن المهدي إلى إسرائيل، حيث التقى بن غوريون وغولدا مائير. وكيف حاول عبد الرحمن المهدي أن يشرح للإسرائيليين أن لديهما عدواً مشتركاً هو جمال عبد الناصر.

«الأنصار» أمام تحدّي الخلافة

من تشييع الراحل أمس في العاصمة الخرطوم (أ ف ب)

مع توديع «الأنصار» زعيمهم الراحل الصادق المهدي، تتزاحم الأسئلة في شأن من سيخلف الأخير في منصبَيه «الإمامة» ورئاسة حزب «الأمة». وفيما تكثر الأسماء المرشّحة للخلافة، لا يبدو أن الجمع بين المنصبين سيستمرّ في ظلّ وجود توجّه لإلغائه

الخرطوم ـ مي علي

يجد كيان «الأنصار» ـ الذراع الدينية لحزب «الأمة» ـ وأعضاء الحزب، أنفسَهم في مواجهة مهامّ مستعجلة، بعد وفاة رئيس الحزب و«إمام الأنصار»، الصادق المهدي. وهي مهامّ يتمثّل أهمّها في اختيار مَن سيخلُف الراحل على «إمامة الأنصار»، وأيضاً على كرسيّ رئاسة الحزب؛ إذ إن الجمع بين المنصبين في عهد ما بعد الصادق يبدو غير مقبول لدى تيّار عريض من «الأنصار».

وشُيّع الآلاف، أمس، آخر رئيس وزراء منتخب، بعدما توفّي عن عمر يناهز 84 عاماً إثر إصابته بفيروس «كورونا»، ليُعلن الحداد وتتكيس الأعلام في البلاد لمدّة ثلاثة أيام. وفور الفراغ من مراسم التشييع، بدأت تتزاحم الأسئلة في شأن مستقبل الحزب. ووفق مصدر مطّلع، فإن الجمع بين «الإمامة» ورئاسة الحزب لم يكن معمولاً به في عهد «الأئمة» الذين سبقوا الصادق المهدي، الذي أجاز في عهده الجمع بين المنصبين كنوع من التطوير في نهج الحزب. وأضاف المصدر، في تصريح إلى «الأخبار»، أن التغيير الذي أعقب «الحراك الثوري» لن يجعل من المقبول الجمع مجدّداً، متابعاً أن «هناك حراكاً قوياً يقوده شباب الأنصار يدعو إلى التغيير، وأبرز وجوهه فكّ الارتباط بين القيادة الدينية والقيادة السياسية، والعودة إلى النظام القديم حيث كان إمام الأنصار بمثابة راع للحزب، ولا يمتلك مهامّ تنفيذية فيه». واعتبر أنه «في حال ذهبت الإمامة إلى أحد أبناء الصادق المهدي، فإن رئاسة الحزب يجب أن تخرج من بيت الصادق».

وكان الزعيم الراحل عمل على تطوير «هيئة شؤون الأنصار»، الذراع الدينية لحزب «الأمة»، ورافدته من قواعد الجماهير، بحيث أضحت مؤسّسة لها نظام أساسي. ووفق المحامي والي الدين الجرح، أحد شباب الأنصار، الذي تحدّث إلى «الأخبار»، فإنه بعد انتخاب الصادق في عام 2002 رئيساً للحزب، أقرّ نهج جديد لـ«الإمامة» يقوم على الانتخاب أيضاً، وبالفعل، تمّ انتخاب الصادق في مؤتمر عام لـ«الأنصار» في عام 2002 كـ«إمام». إذاً، وبحسب ما أرساه الراحل، فإن «الإمامة» يفترض أن تُحسم بواسطة الانتخاب، بعد أن كانت قائمة على التوريث. لكن وفقاً لمحلّلين، فإنه حتى لو تمّ الأمر بالانتخاب، فإن هناك إجماعاً روحياً ودينياً وسط «الأنصار» على أن يكون «الإمام» من آل المهدي. وبحسب مصدر مطّلع، فقد يبرز اسم أحمد المهدي، عمّ الصادق المهدي، وهو في العقد الثامن من عمره، كأحد المرشّحين لكرسي «الإمامة». إلا أن الأوفر حظّاً لخلافته في هذا الكرسي يظلّ ابنه، الصدّيق، المسؤول عن المؤسسات الاقتصادية في الحزب. وطبقاً لمصدر مطّلع، فإنّ الصدّيق يتمتّع بقاعدة كبيرة وسط «الأنصار»، وهو قريب من وجدانهم، وذلك على الرغم من ظهور شقيقه الأكبر عبد الرحمن ممتطياً صهوة جواد والده أثناء مراسم التشييع، ما أوحى لدى كثيرين بأنه سيرث والده في كرسي «الإمامة»، غير أن تاريخ الرجل السياسي وتقلّده عدّة مناصب في النظام السابق جعلا حظوظه تتراجع وسط «الأنصار».

أمّا بخصوص الرئاسة، فإن مؤسسات «الأمة» المنتخبة كفيلة بتسيير شؤون الحزب إلى حين قيام المؤتمر العام، وفق نائب رئيس «الأمة»، إبراهيم الأمين، الذي يؤكد «(أننا) نتمسّك بمؤسّسات الحزب بقوة، نحن نعتمد على الجماهير، والشخص الذي تُقدّمه الجماهير في المؤتمر العام سنُسلّم له»، موضحاً أنه «لا يوجد شخص بعينه الآن». وظلّ الصادق المهدي، أثناء جولاته في الولايات بعد إطاحة نظام عمر البشير، يبشّر بالمؤتمر العام الرابع للحزب، والذي من ضمن مهامه انتخاب الرئيس. وكان آخر مؤتمر عام لـ«الأمة» عُقد في عام 2003، حيث أعيد انتخاب الصادق المهدي رئيساً، وأربعة نواب له هم فضل الله برمة ناصر، إبراهيم الأمين، صديق إسماعيل، وابنة الراحل مريم الصادق المهدي. والأخيرة يبدو أن تواصلها غير

بعد انتخاب الصادق رئيساً للحزب، أُقرّ نهج جديد لـ«الإمامة» يقوم على الانتخاب أيضاً

الفعّال مع القواعد قد يُقلّل من حظوظها في تولّي رئاسة الحزب خَلَفاً لوالدها، وذلك وفق مصدر مطّلع. كما أن قواعد الحزب الأساسية قد تحرمها من تولّي رئاسة «الأمة» وإن بصورة مؤقتة؛ إذ إنه لا يجوز تصعيد أيّ من النواب لتولّي الرئاسة، بل تستمرّ المؤسسات في عملها إلى حين انتخاب الرئيس عبر المؤتمر العام أو عبر الهيئة المركزية في حال تعذّر انعقاد المؤتمر العام.

في المقابل، قد يبرز اسم نائب رئيس الحزب، إبراهيم الأمين، المعروف بوسطيّته كأحد المرشّحَين للرئاسة، مثلما قد يبرز أيضاً اسم مبارك الفاضل رئيس حزب «الأمة الإصلاح» المنشقّ عن «الأمة»، والذي تبدو حظوظه كبيرة في ظلّ الدعوات إلى توحيد جميع الكيانات التي انشقّت عن الحزب الأمّ في أوقات سابقة، فضلاً عن حنكة الرجل السياسية والتي قد تؤهّله لتولّي المنصب. أمّا الأوفر حظاً، والذي ستوفّر له خبرته ودرايته بمؤسسات الحزب دعماً كبيراً من القواعد، فهو رئيس المكتب السياسي لـ«الأمة»، محمد المهدي حسن، الذي أتى من خارج البيوت التاريخية لآل المهدي، كونه من عامة «الأنصار»، وتدرّج في الحزب إلى أن وصل إلى منصبه الحالي.

العالم
ليبيا

تتزامن المتغيّرات مع عودة الحشد العسكري على صعيد تركيا أو مصر والخليج (أ ف ب)

لا أثر للتفاؤل الأممي: الحشد العسكري يتجدّد

يتراجع، يوماً بعد آخر، التفاؤل الأممي في شأن الوصول إلى حلّ نهائي للأزمة الليبية. في ظلّ عودة التحشيد العسكري، وفشل «ملتقى الحوار السياسي» في تونس، وتعثّر المباحثات في طنجة المغربية

لم يُترجَم التفاؤل الأممي الذي ساد في الأيام الأخيرة على الأرض الليبية، بل ها هو يتراجع يوماً بعد آخر. ومع أن المؤشّرات الإيجابية كانت متزايدة، وخاصة مع إنهاك طرفي الصراع عسكرياً، لكن بوادر خلافات داخلية، إلى جانب أزمات تعرّض لها كثير من القيادات، دفعتهم إلى العدول عن الاتجاه نحو التوافق وإبقاء الوضع على ما هو عليه الآن.

اللافت أن هذه المتغيّرات تتزامن مع عودة الحشد العسكري، سواء على صعيد المرتزقة والأسلحة التي ترسلها تركيا عبر البحر والجو، أو مصر والخليج بعدما وصلت بعض المعدّات العسكرية إلى قوات المشير خليفة حفتر. مع ذلك، تتواصل المباحثات العسكرية للجنة «5+5» التي تجمع ممثلين عن حكومة «الوفاق الوطني» وحفتر، لبحث تسهيل التحرّك بين المناطق، الأمر الذي طَبَق فعلياً مع إقرار الجانبين خطوات تنظيمية داخلية، بينها الالتزام بأرقام اللوحات وإزالة ما يُخفي محتويات السيارات العسكرية.

لكن، في المقابل، سُجّل تجدّد السجالات بين «الوفاق» وحفتر، بعدما اتهمت الأولى الثاني بالسعي إلى إفساد وقف النار وتحريك القوات على أكثر من محور تمهيداً لشنّ هجوم على العاصمة طرابلس وبعض المناطق، وهو ما نفاه المتحدث باسم قوات حفتر، واصفاً تلك التصريحات بأنها «ذريعة لعودة الاشتباكات». وبالتزامن مع ذلك، أخفقت الجولة الثانية من الحوار السياسي في تونس في التوصّل إلى آلية لتسمية المرشّحين للمناصب التنفيذية، جرّاء استمرار الخلافات

> **أخفقت الجولة الثانية من حوار تونس في حسم تسمية المرشحين للمناصب التنفيذية**

في شأنها، علماً بأن المحاولات الأممية لحسم الخلافات عبر الاتصالات الافتراضية بين ممثلي الأقاليم الليبية لم تفلح إلى الآن، وسط توقّعات باستمرار التفاوض حتى بداية العام المقبل.

تفتقر المحادثات حتى اللحظة إلى وجود قوى ضاغطة، ليس بسبب غياب التوافق الدولي على ما يجب أن يجري في ليبيا فقط، بل ارتباطاً بانتظار موقف الإدارة الأميركية الجديدة التي يُتوقع أن تلقي بثقلها في الملف، وخاصة بعد الخلاف حول الدور الألماني الذي وصفته تركيا بأنه «منحاز»، علماً بأن برلين كانت وفق مراقبين من أكثر العواصم الأوروبية التي تسعى إلى حلول توافقية تدعم المسار السياسي. وهذه المرّة، عبّرت المبعوثة الأممية بالإنابة، ستيفاني ويليامز، علناً، عن هشاشة الوضع وخطورته حتى اللحظة، مع الأخذ في الحسبان أن غياب الحلّ العملي لآلية الترشّح والاختيار في السلطة التنفيذية الجديدة يمثّل أصعب المحطّات أمام إجراء الانتخابات العامة المقرّرة نهاية العام المقبل.

أمّا على مستوى المباحثات بين نواب البرلمان الجارية في المغرب، فتبدو الأمور متشابهة في التعقيدات. إذ بعد إرجاء الدعوة المصرية للبرلمان الليبي إلى الانعقاد في القاهرة، تتواصل اللقاءات التشاورية بين البرلمانيين الليبيين في طنجة، في ظلّ مساعٍ إلى اعتماد مسوّدة جديدة، من شأنها إنهاء النقاط العالقة في الحوار الأممي. ويتّجه الحوار إلى اعتماد جلسة في مدينة غدامس بدلاً من القاهرة، بعدما وجدوا فيها المكان الأنسب لتقريب وجهات النظر وتجنّب الانحياز إلى طرف على حساب آخر. والجدير ذكره، هنا، أن المشاورات الجارية الآن هي الأضخم في العدد بين البرلمانيين الليبيين منذ 2014، عام انعقاد آخر جلسات البرلمان الذي تعوّل عليه الأمم المتحدة في دعم المفاوضات الجارية برعايتها. وفي حال نجاح انعقاد جلسة في غدامس، يُتوقع أن تشهد بدورها عدداً من السجالات، وخاصة مع ترقب موقف البرلمان من الاتفاقات التي وقّعها «الوفاق» مع تركيا، والتي يشكل الموقف منها حجر عثرة أمام حلّ نهائي.

(الأخبار)

إعلانات رسمية

إعلان

تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لشراء قطع غيار لـ Oxygen meters في معمل الذوق الحراري. يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 20 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /50,000/ل.ل.

تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 20 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

علماً إن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2021/1/8 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00.

بيروت في 2020/11/24

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 1143

إعلان

يعلن رئيس مجلس إدارة مستشفى تنورين الحكومي عن إجراء مناقصة وإستدراج عروض لشراء المواد التالية للعام 2021:

(مواد غذائية، مواد طبية، أدوية، أمصال وخيوط جراحية معدات طبيّة، لوازم مكتبية ومطبوعات، مواد مخبرية، محارم وورقيات، مواد تنظيف وتطهير وأعمال التنظيفات والمحروقات).

تقبل العروض في 2020/11/27 ولغاية 2020/12/11 ضمناً، خلال الدوام الرسمي لدى أمانة سرّ الإدارة.

تنورين في: 2020/11/27

رئيس مجلس الإدارة - المدير

د. وليد حرب

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب روي جورج النقاش وكيل جورج توفيق التركي غبريبل أحد ورثة توفيق عبده التركي غبريبل المالك في العقار /1385/ بيت شباب سند تمليك بدل عن ضائع بحصة المورث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب مارون وبطرس عبدو خليل المالكين في القسم /11/ من العقار /2223/ البوشرية سند تمليك بدل عن ضائع بحصصهما.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت ليلى مارون بو نصر احدى ورثة مارون نجيب أبو نصر المالك في القسم /24/ من العقار /862/ البوشرية سند تمليك بدل عن ضائع بحصة المورث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت اليز سليم الرعيدي وكيلة سليم نقولا جبرايل مالك العقار /464/ الدكوانة سند تمليك بدل عن ضائع بإسم المالك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب داني جورج معكرون وكيل شاهي ابراهام ارايروانيان بصفته مدير مفوض بالتوقيع عن شركة شافاز ش.م.م. الدائنة في القسم /F_20/ من العقار /2712/ البوشرية شهادة تامين بدل عن ضائع باسم الشركة.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت ميرفت ميلاد الخوري وكيلة حبيب خليل عطيه مالك العقارات /960/ و/961/ ساقية المسك وبحرصاف و/342/ ضهر الصوان سندات تمليك بدل عن ضائع بإسمها.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب بسام فؤاد عون وكيل سدريك شفيق بشير مالك الرقبة في القسم /A_6/ من العقار /194/ المحيدثة سند تمليك بدل عن ضائع بإسم المالك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت ميليسا جهاد معتوق وكيلة وليد اسكندر الأشقر أحد ورثة اسكندر يوسف حرقيال الأشقر المالك في العقارات /1091/ و/1103/ و/1105/ و/1106/ و/1107/ و/1132/ و/1134/ و/2707/ و/2740/ بيت شباب سندات تمليك بدل عن ضائع بحصص الموروث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت هيام كيفاركيس كيوركيس المالكة في القسم /11/ من العقار /1937/ البوشرية سند تمليك بدل عن ضائع بحصتها.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب وسام إبراهيم أبي حيدر وكيل كيتاريك ماريديروس اساريان احدى ورثة ماريديروس نيشان اساريان مالك العقار /1496/ سن الفيل سند تمليك بدل عن ضائع بإسم المورث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب عبدو شربل الخوري وكيل جورج سعيد جرجور مالك القسم /5/ من العقار /497/ مزرعة الحصيرة سند تمليك بدل عن ضائع بإسم المالك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب الرف جهاد رزق وكيل طارق عدنان عيتاني مشتري من جهاد رشيد مطر مالك القسم /27/ من العقار /693/ البوشرية سند تمليك بدل عن ضائع بإسم المالك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب شربل ميلاد الخوري وكيل ماجد فائق ادي ابي اللمع الوكيل عن استير جاك كاريو زوجة فائق ابي اللمع مالكة العقار /329/ العيون سند تمليك بدل عن ضائع باسم المالكة.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت بيرلا انطون سيف وكيلة عبدالله مفيد الدبغي وزياد ايلي كرم بصفتهما مفوضين بالتوقيع بالإتحاد عن شركة عبجي كيماويات ش.م.ل. مالكة العقار /23/ البوشرية سند تمليك بدل عن ضائع بإسم الشركة.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت استير كرم داغر وكيلة خليل كرم داغر المالك في القسم /6/ من العقار /852/ الجديدة سند تمليك بدل عن ضائع بحصة المالك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب جان نبيه ابي حبيب أحد ورثة ماري اسعد ناصيف الأشقر المالكة في العقار /1312/ رومية سند تمليك بدل عن ضائع بحصة المورثة.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب علي حسين بريج وكيل مالكه فرنسيس باسيل احدى ورثة حكمت جورج الخوري مالك القسم /33/ من العقار /5063/ برج حمود سند تمليك بدل عن ضائع بإسم الموروث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب روجيه الياس ابي راشد وكيل سليم رشيد كنعان وكيل رولا توفيق التركي غبريل احدى ورثة توفيق عبده التركي غبريل المالك في العقارات /283/ و/285/ و/287/ و/300/ و/301/ و/302/ بيت شباب سندات تمليك بدل عن ضائع بحصص الموروث.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب سمير يني سوتيري وكيل جورج يني سوتيري المالك في القسم /10/ من العقار /79/ مزهر سند تمليك بدل عن ضائع بحصة المالك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب وسيم الياس السبعلي بصفتها مشترية من الياس يوسف السبعلي مالك العقار /134/ السفيلة سند تمليك بدل عن ضائع بإسم المالك.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت لوسين انترانيك مقصوديان زوجة البير رولان مالكة القسمين /13/ و/14/ من العقار /501/ ضهر الصوان سندي تمليك بدل عن ضائع بإسمها.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلبت روي جورج النقاش وكيل جورج توفيق التركي غبريبل أحد ورثة توفيق عبده التركي غبريبل أحد ورثة حنه ملحم جبر المالكة في العقارات /283/ و/285/ و/287/ و/300/ و/301/ و/302/ و/1385/ بيبت شباب سندات تمليك بدل عن ضائع بحصص المورثة.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب عدنان أسعد صالح بالوكاله عن ناهض أحمد حسن سند بدل ضائع للعقار 214 الهري.

للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري

إعلان

لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب جهاد عماد شلق بصفته مفوض بعقد البيع عن مريم وعبدالسلام وهناء مقدم سند بدل ضائع للعقار 1826 النخله.

للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعه

أمين السجل العقاري

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب مفيد جميل سكر مالك القسم /A-11/ من العقار /265/ ديك المحدي سند تمليك بدل عن ضائع بإسمه.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب أحمد محمود اسومه وكيل محمد عصام ابو درويش بصفته رئيس مجلس الادارة - المدير العام لشركة لي سويت دو فقرا ش.م.ل. مالكة الاقسام /G_15/ و /E_15/ و /E_13/ من العقار /5611/ بسكنتا سندات تمليك بدل عن ضائع بإسم الشركة.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

إعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن

طلب انطوان جرجس موسى مالك القسم /4/ من العقار /1966/ قرنة الحمرا سند تمليك بدل عن ضائع بإسمه.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

استراحة

كلمات متقاطعة 3608

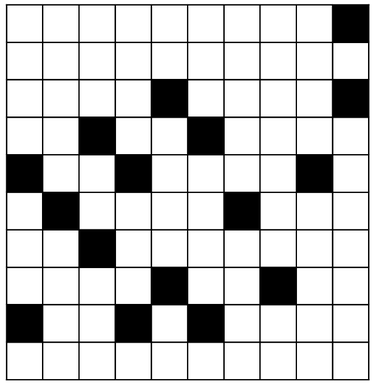

أفقيا

1- مضيق بين البحر الأحمر وخليج عدن – 2- عالم فرنسي راحل – 3- نفسي وجوهري وعيني – راتبه الشهري – 4- بلدة لبنانية جنوبية – عكسها سقي – حرف نصب – 5- صفة شخص الفٍ يُدخل السعادة والطمأنينة على قلب رفيقه ويذهب عنه الوحشة والخوف – وشى – 6- مدخل البيت – مقياس طول فارسي قديم – 7- الفتيات العازبات – خاصتي – 8- جمع الخيطان على البكرة – إحسان – ماركة سيارات – 9- رموا الشراب من أفواههم – خاصم أشد الخصومة – 10- فنان وممثل لبناني مخضرم

عمودياً

1- يستخرج منه السكر – 2- حكيم هندي – من الخضر – 3- منطقة سياحية قبرصية – للندبة – 4- حديقة فيها شجر وزرع – صوت الكلب – 5- والدي – يشرح الدرس للتلاميذ – 6- نوتة موسيقية – ممثلة مصرية – حرف نصب – 7- خط السير – غطى وحجب وأخفى – 8- تكسّب من عمله – خفض وطأطأ الرأس بالعامية – عكسها أوتوماتيكي – 9- مدينة انكليزية – عاصمة اوروبية – 10- أثبت بالحجة – جديد بالأجنبية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- العراق – بيت – 2- مصر – لابلاس – 3- يسعده – لو – 4- لينين – مر – 5- لحَ – دبلن – ما – 6- حنان – بصم – 7- تيه – بر – 8- دمج – طاووس – 9- لامور – نبيّ – 10- سفرجل – كوين

عمودياً

1- اميل لحود – 2- لص – يجنّ – ملف – 3- عرين – اتجار – 4- سيدني – هج – 5- العنب – هطول – 6- قاد – لي – أر – 7- بهمن – بو – 8- بل – برونو – 9- يال – مَن – سبي – 10- تسونامي – ين

3608 sudoku

5		2	8			7		
					2	9	1	5
1		6		9	7			
	8	9		2				
	4				6			7
		1		4			2	
	6	5				8	4	1
8		7		3				
			6		1			3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3607

5	3	6	2	4	1	9	8	7
9	8	2	3	6	7	5	1	4
1	7	4	8	5	9	2	3	6
3	4	5	1	8	2	7	6	9
8	9	1	6	7	4	3	5	2
2	6	7	9	3	5	8	4	1
7	5	3	4	9	6	1	2	8
4	1	9	5	2	8	6	7	3
6	2	8	7	1	3	4	9	5

مشاهير 3608

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

موسيقار سوري معاصر درس الموسيقى في المانيا في مدينة لايبزغ. إستعمل الألحان الفولكلورية العربية وطوّرها بشكل سيمفوني وقدمها في حفلات أمام جمهوره

3+6+9+8 = ربّان السفينة ■ 5+7+1+4 = يضيء المكان ■ 10+11+2 = جديد بالأجنبية

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: **هيلاري هانئة**

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

الأخبار
al-akhbar
السبت 28 تشرين الثاني 2020 العدد 4210

صورة وخبر

لغاية 15 آذار (مارس) 2021، يواصل «متحف بومبيدو ــ ميتز» الفرنسي، احتضان معرض Chagall. Le passeur de lumière. يضم المعرض نماذج زجاج معشّق صمّمها مارك شاغال (1887-1985) بين عامَي 1956 و1984 لواجهات مبانٍ في فرنسا وألمانيا وسويسرا وإنكلترا والولايات المتحدة... إلى جانب لوحات ومنحوتات وأعمال سيراميك ورسوم من مجموعات لمركز «بومبيدو» و«متحف مارك شاغال الوطني» ومتاحف عالمية ومجموعات خاصة لهذا المعرض الاستثنائي الذي تم تنظيمه كجزء من الذكرى المئوية الثامنة لكاتدرائية «سانت إتيان دو ميتز». ومن المتوقّع أن تعيد الفضاءات الفنية والثقافية في فرنسا فتح أبوابها اعتباراً من 15 كانون الأوّل (ديسمبر) المقبل. (أ ف ب)

عالم الطباعة الفنية... معرضاً في «آرت لاب»

The Hand that Prints هو عنوان المعرض الذي يُفتتح في 4 كانون الأوّل (ديسمبر) المقبل في صالة «آرت لاب» في الجميزة (بيروت). تنظّم «آرت لاب» هذا الحدث بالتعاون مع Beirut Printmaking Studio، وهو مخصّص للطباعة الفنية بتقنياتها كافة. وُلد المعرض من رحم مبادرة أطلقها الفنانان سابين ديلاهو وجان ميشيل ويترسبروت اللذان يتّخذان من فرنسا وبلجيكا مقرّاً لهما، ونظّما معرضاً في Journey de l'Estampe في سان سولبيس في باريس. فنانون من حول العالم أرسلوا أعمالاً من توقيعهم لدعم هذا الحدث، ليبلغ العدد الإجمالي 180. من هذه المجموعة الواسعة وقع الاختيار على 25 فقط للمعرض البيروتي، وهي تتنوّع بين النقوش الخشبية والخطية والطباعة الحجرية والنقش الغائر وغيرها، فيما تشكّل تحيّة وتقديراً لكل هؤلاء الفنانين على جودة عملهم. علماً بأنّ The Hand that Prints يستمر لغاية 31 كانون الأوّل 2020.

*افتتاح معرض The Hand that Prints: السبت 4 كانون الأوّل ـ بين الساعة الحادية عشرة صباحاً والسابعة مساءً ـ «آرت لاب» (الجميزة ـ بيروت). للاستعلام: 03/244577

La leyenda de Rita (عام 2020 ـ 50 × 50 سنتم)

وسام كمال كوميديا «هيك وهيك»

في 6 و22 كانون الأوّل (ديسمبر) المقبل، يعود وسام كمال (الصورة) إلى «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت) للقاء الجمهور بعرض «ستاند ـ أب» يحمل عنوان «هيك وهيك». سيمزج الفنان اللبناني الشاب بين عرضه SHASHMA وذلك الذي يُخطّط لإطلاقه قريباً ولم يختر له اسماً بعد. في «هيك وهيك»، يتطرّق وسام لمواضيع من صلب حياتنا اليومية، كالتنمّر والعلاقات العاطفية والاكتئاب وغيرها، إلى جانب ما نعيشه في ظلّ الأزمات المتلاحقة في هذه البلاد. وبطبيعة الحال، يتعيّن على الحاضرين التزام الإجراءات الضرورية للوقاية من فيروس كورونا.

عرض «هيك وهيك» لوسام كمال: الأحد 6 والثلاثاء 22 كانون الأوّل ـ الساعة التاسعة مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

جليلة تلمسي في «بيت القصيد»... عن عشق المسرح وأشياء أخرى

نالت الممثلة المغربيّة جليلة تلمسي (الصورة) مراراً جائزة أفضل ممثلة عن أدوارها التي لعبتها على الشاشة الكبيرة، وكذلك على خشبة المسرح الذي تعتبره عشقها الأوّل. تلمسي التي تخلّت عن شعرها لأجل دورها في فيلم «أندرومان، من دمّ وفحم» (2012 ـ إخراج عز العرب العلوي) تذهب حتى النهاية في تجسيد الشخصيات التي تؤديها، لكنها ترفض المجانية والمشاهد غير المبرّرة دراماً. بطلة فيلم «نعيمة وأولادها» (2019 ـ إخراج أوليفييه كوسماك) الذي نالت عن دورها فيه جائزة أفضل ممثلة من «مهرجان الإسكندرية السينمائي»، تطلّ اليوم السبت مع الإعلامي والشاعر اللبناني زاهي وهبي في برنامج «بيت القصيد» على «قناة الميادين» لتحكي عن تجربتها في المسرح والسينما والدراما التلفزيونية، وتتطرق إلى مشاركتها في فيلم «نساء الجناح ج» (2019 ـ إخراج محمد نظيف)، وتجربتها إلى جانب زميلتها رجاء خرماز في مسرحية «الخادمتان» (نص جان جينيه وإخراج العراقي جواد الأسدي)، فضلاً عن نظرتها إلى واقع المسرح في زمن طغيان تكنولوجيا الصورة. كما تتحدث النجمة المغربية عن الدورات التدريبية التي تقدمها في مجال التنمية البشرية، ونظرتها إلى دور الفنان في المجتمع انطلاقاً من رسالتها التي نالت عليها شهادة الماجستير «اللاعب الدرامي والتنمية الذاتية».

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين»

الأخبار al-akhbar

السبت 28 تشرين الثاني 2020
العدد 4210 السنة الخامسة عشرة
Samedi 28 Novembre 2020 no4210 15ème année

كلمات

ملحق أسبوعي

www.al-akhbar.com

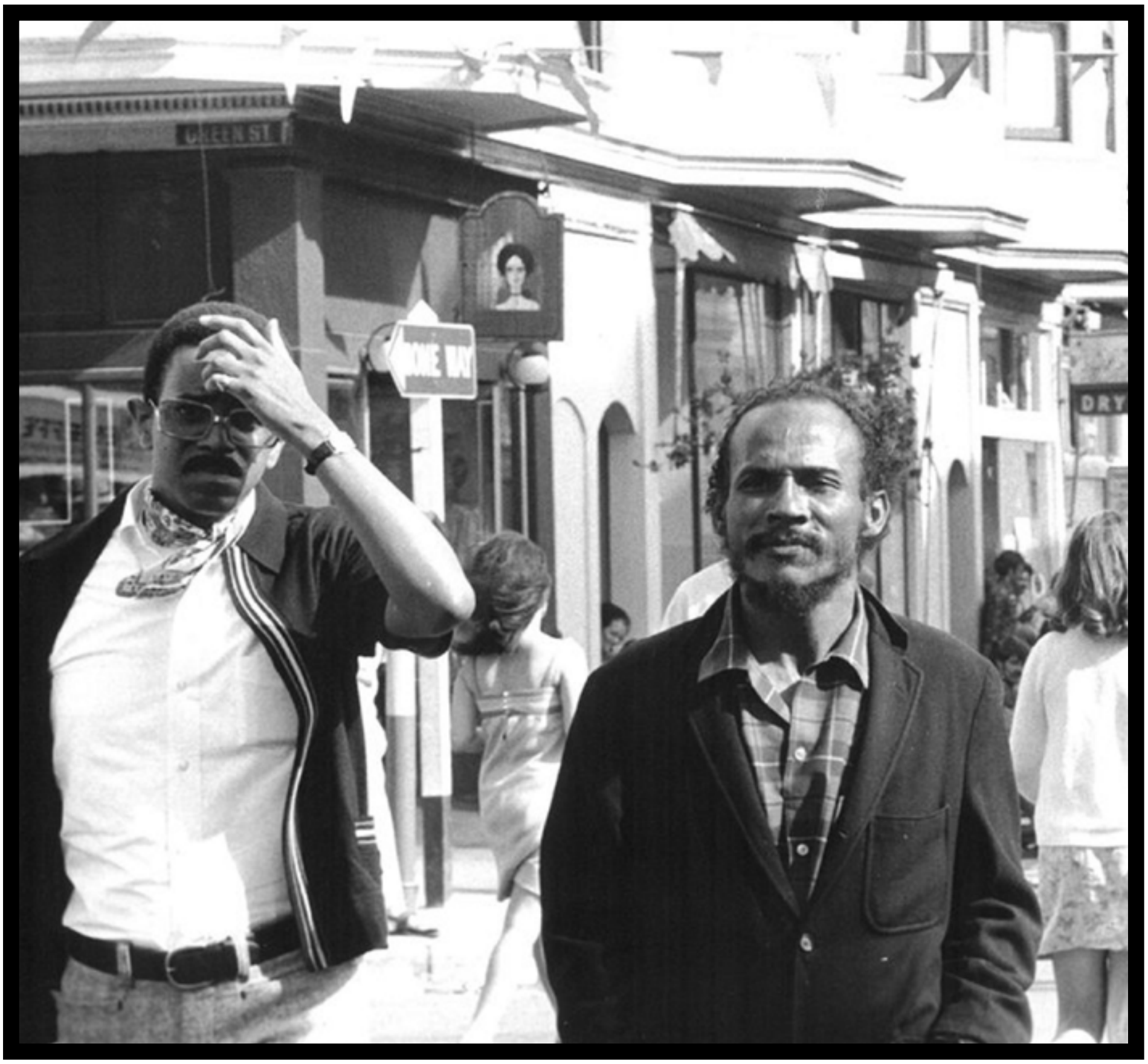

بوب كوفمان
شاعر البذاءة المقدّسة

«صارخين أعلى من الألم، سَامَحْنا أنفسَنا:/ الخطيئةُ الأصليَّةُ بَدَتْ أسطوانةً مَشروخةً./ الرَّبُّ عَزَفَ البلوز، ليقتلَ الوقتَ، طَوَالَ الوقتِ./ أنهارُ حُمرٌ حَمَلَتْنا إلى الحياةِ». قبل شعره، تستعاد دائماً سيرة بوب كوفمان (1925- 1986) وحياته التي قضاها في الأزقّة بعيداً عن كلّ المؤسسات الأدبية الأميركية. الشاعر المنبوذ، غُيّب طويلاً عن الكتابات النقديّة والدراسات الأكاديمية، وحتى عن حركة «جيل البيت» التي كانت تعدّ الصوت العاقّ للشعر الأميركي لفترة طويلة. لعلّ هذا النبذ هو امتداد لتجربة وسيرة الشاعر الأميركي الذي تأخّر وصوله إلى لغة الضاد، أو أنه تحقّق بديهي لرغبته بأن يكون منسياً كما قال يوماً: «طموحي أن أكون منسيّاً». مقابل ظهور أسماء ونجوم جيل البيت مثل ألن غينسبرغ وجاك كيرواك وآخرين، ظلّ اسمه غائباً لسنوات، رغم أن الحكايات الآتية من سان فرانسيسكو الخمسينيات تؤكّد أنه كان أوّل من اعتلى طاولة إحدى الحانات وصرخ شعره كمن يفتعل عراكاً. بعد حياة أمضاها في التسكّع والعزلة والهدم، والصراع المباشر مع السلطات الأميركيّة، أجمع النقاد، بعيد وفاته على أنه جسّد روح التمرّد الحقيقية في الشعر الأميركي، كما ألهم الأجيال اللاحقة من الشعراء السود في أميركا. لم تصدر لكوفمان أي ترجمة عربية إلا العام الماضي، بتوقيع الشاعر والمترجم العراقي محمد مظلوم لباكورته «عزلة مكتظّة بالوحدة» (منشورات الجمل). هذه المرّة يعود كوفمان مجدّداً إلى العربية، في مجموعة «الحياة ساكسوفون في فم الموت» (منشورات المتوسّط) التي تحوي قصائد اختارها وترجمها الشاعر الفلسطيني سامر أبو هوّاش. لا شكّ في أن صعوبة لغة كوفمان، أسهمت في تأخّر وصوله إلى العربيّة. صعوبة يلمسها قرّاء اللغة الإنكليزية، بفضل اشتقاقاته اللغوية وجهوده الخاصّة التي أدخل فيها إلى الإنكليزية مفردات الشارع، خصوصاً لغة السود العامية والبذيئة. جمع الشاعر في قصائده عوالم متباعدة، تحمل تأثيرات السوريالية ممزوجة بنفس سياسي فجّ، وبموسيقى الجاز؛ ذلك الإيقاع الذي ظلّ يشحن شعره، بكلّ ما يحمله من تدفّق وارتجال. رغم تنقله بين الجنوب الأميركي حيث ولد في نيو أرلينز، وبين كاليفورنيا ونيويورك، قضى كوفمان معظم حياته في سان فرانسيسكو. كما في الشعر واللغة، كان كوفمان بحاراً في رحلاته الطويلة عبر المحيطات التي أوصلته إلى شواطئ أفريقيا والهند. غير أن التحاقه المبكر بـ «الاتحاد البحري الوطني» ألقى به إلى التهلكة، خصوصاً بسبب اتّهام الشرطة للاتحاد بالتعاطف مع الشيوعية. كان ذلك بداية لسلسلة ملاحقات من قبل الشرطة الأميركية وحتى الـ FBI، رمته لأشهر في الزنازين والمصحات النفسية حيث تعرّض للعلاج عبر الصدمات الكهربائية. ما دفعه مرّة إلى تشبيه شرطة سان فرانسيسكو بهتلر. تلك الملاحقات والمراقبة جعلته عاطلاً عن العمل لفترة طويلة، نتيجة النظام العنصري في أميركا أوّلاً. وصف كوفمان أميركا بـ «الغابة البلاستيكية المظلمة»، فيما لم يتوقّف عن النيل من الثقافة الأميركيّة في قصائده ولغته. نهاية الخمسينيات، وعلى غرار بيانات الحركات الشعريّة، أطلق كوفمان مانيفستو تهكّمي شهير يدعى مانيفستو Abomunist (المشتقّة من القنبلة الذرية Atomic Bomb) نشره في مجلّة Beatitude الشعريّة التي ساهم في تأسيسها مع شعراء آخرين. ومثلما احتجّ بلغته سياسياً، كان صمته أيضاً احتجاجاً آخر، حين اختار السكوت لعشر سنوات بعد اغتيال جون ف. كينيدي، ولم يعد إلى الشعر إلا عندما خرج الجيش الأميركي من فييتنام.

حوار

الجسد العليل حكاية أوطاننا الممزقة

علوية صبح: «أن تعشق الحياة» ... رواية الغضب!

«عندما افكر بيوسف، يتأكد لي أنّ موت الحب في علاقة بين اثنين ليس هو الموت الأتم، وإنما هو الصعقة القاتلة التي تصيب الأوطان. من قال إنّ حكايا البشر وأجسادهم ليست كحكايا مدنهم؟ أو أن الأجساد لا تشبه مدنها؟». بعد عشر سنوات من «اسمه الغرام»، تعود علوية صبح المشاكسة برواية عنوانها «أن تعشق الحياة» (دار الآداب): عشق ينطلق من الخيبة والمرض والمدن المهدمة لينزل كالصفعة على وجه كل ما هو قبيح وظلامي. وليجعل من الفن والرقص والجمال ديناً يدان به. هي رواية للغضب. «حكاية الغضب الذي تملّكني من انهيار جسدي وانهيار المدن العربية. كل ما يمرض هذا الجسد من انهيارات على المستوى الإنساني وتجارب الاحداث. دفع بالرواية للخروج مما هو شخصي إلى ما هو عام». وعود على بدء لصاحبة «مريم الحكايا» في مواكبة المرأة العربية أدبياً وروائياً في معركة استرداد حقوقها إنسانيتها وانوثتها كاملة من دون منّة ولا نقصان. من حالتها الصحية الحساسة. استلهمت صبح عالماً روائياً متعدّد الهواجس والشخصيات لتتقاطع «أن تعشق الحياة» مع الروايات التي تحتضن السرديات الكبرى وتغوص في أعماق البشر في الجنون والحب والخيبة والموت. وبخاصة في ما عشناه في العالم العربي من دمار وعدوان على مدننا وأجسادنا. حول الرواية الأخيرة والحياة التي تقاتل «بسمة» البطلة في سبيلها ممتلئة بالأمل والحب. كان هذا الحديث في «كلمات»

تقديم وحوار **محمد ناصر الدين**

■ بعد مرور عشر سنوات تقريباً على رواياتك الأخيرة «اسمه الغرام»، خرجت الى النور روايتك الجديدة «أن تعشق الحياة». كيف ولدت؟

- ولدت «أن تعشق الحياة» من رحم الألم والمرض الذي أصابني. وقع ذلك مصادفةً قبل بداية ما سمّي «الربيع العربي» بقليل. كنت أشتغل على رواية أخرى وقطعت مرحلة متقدمة منها، لكن المرض العصبي الذي عذّبني كثيراً (وقد وصفته وصفاً دقيقاً في ما أصاب البطلة) جعلني لا أقدر أن أكتب شيئاً بمعزل عن جسدي. توقفت عن كتابة الرواية الأولى وبدأت أفكر بالشروع في عمل روائي آخر. كنت في بداية مرضي أقاوم وأذهب كل يوم إلى المقهى لأكتب، وكنت يومياً أكاد أقع من التشنجات والارتجاجات، وتولّد لديّ إحساس بأنّي فقدت السيطرة على جسمي وعلى ذاكرتي بسبب المهدئات الكثيرة. حتى إنّني وجدت دفاتر عديدة مكتوبة في السنوات الأولى من مرضي لا علاقة لها بعضها بالآخر بسبب عدم القدرة على التركيز. في فترة العجز عن الكتابة، صارت الرواية تتكوّن وتجري أحداثها في داخلي: كانت تشغل على الورق وتنجح في مخيّلتي التي فارت بشكل غزير، ولم أكتبها آنذاك فصلاً فصلاً وإنما كلمة كلمة في رأسي. تخيلت لو أن البطلة راقصة وترتكز على حياتها على هذا الجسد، ماذا كان ليحدث معها؟ كان لديّ شعور أنني من خلال ما تعيشه الرواية، سأستعيد العلاقة بجسدي وذاكرتي. هذا هو التماثل بيني وبين «بسمة» في هذا الزمن، أو في زمن الحرب حين مرضت أيضاً وكنت في العقد الثاني من عمري وأيضاً أسترجعت مرضي في طفولتي. كل ما له علاقة بالحالة الصحية للرواية هو تجربتي، أما الشخصيات الأخرى وعوالمها فكلها متخيّلة.

■ شكّلت «مريم الحكايا» و«دنيا» و«اسمه الغرام» ما يشبه الثلاثية في الحب والجسد والمرأة. أين الرواية الجديدة من أخواتها؟

- لقد رأى النقّاد أنّ أعمالي الأولى هي ثلاثية، لكن كل منها كانت تختلف عن الأخرى من حيث التقنية أو الهاجس الروائي في هذه الرواية أو تلك. منذ روايتي الأولى، حاولت أن أعبّر عمّا هو منفيّ في الأدب وكسرت التابو الديني. حاولت أن أدخل في عوالم النساء المقصية في العالم العربي من الأدب الروائي الحديث. اعتبر القرّاء أنّي كسرت الصوت الذكوري في الرواية العربية: لست مهجوسة فقط بالحب والجسد وإنما طرحتُ موضوعات كثيرة منها العنف تجاه النساء بكافة أشكاله، وما يكبّل المرأة والإنسان العادي من مفاهيم اجتماعية وقوانين ومعتقدات، ودخلت بخاصة على ذاكرة النساء المنسية. ما أقوم به في أعمالي الأولى أو في «أن تعشق الحياة» هو أن أحفر في الشخصية ممتلئة بالحنان... تقول البطلة إنّه كان إنساناً ولرقّته ما لبث أن تحوّل إلى ملاك حارس يرافقها على طول الرواية. كان أحمد يكتب رواية تصف علاقتهما معاً، وفي لحظة الموت طلب منها أن تعيش حياتها كما أراد أن يكمل هذه الرواية. كان دائماً يحثّها على الحياة وعلى مقاومة المرض. هو أشبه بكائن طيفيّ تتذكره «بسمة» دوماً عبر الكلمات والوصايا التي أعطاها

> أنا ابنة بيئة شعبية مليئة وغنيّة بالمعتقدات والعناصر الفانتازية

إياها. الرسام «يوسف»، الحبيب الثاني كأنّه ولد من الحبيب الأول. حين حضرت للمرة الأولى معرض لوحاته، شعرتُ أن روح «أحمد» تسكن في الشجرة، كأنه أهداها إلى حبّ جديد. عاشت «بسمة» أجمل تجربة مع «يوسف»، الإنسان الجميل والرسّام المبدع والعبقري والمتعلق بالرسم إلى أبعد الحدود. كان اللون حياة «يوسف» ومعتقده ونقرأ له مقاطع عميقة عن فلسفته للوجود والحب، إلّا أنه مرّ بتجارب مؤلمة أبرزها مقتل أبيه وإخوته في حادثة ثار بين عائلتين. ولم يبقَ له سوى أمه التي استشهدت خلال حرب تموز وأخيه الذي استشهد أيضاً في سوريا. على طول الرواية، أتحدث عن التحولات التي حدثت لهذه الشخصية الدرامية، إن على مستوى لوحاته أو حياته: لم يكن سهلاً عليّ الموازاة بين هذين العنصرين، وكذلك جسّدتُ تحولات الشخصيات الأخرى. الحبيب الثالث هو من تكتب له «بسمة» وتقصدتُ منذ البداية أن يبقى غامضاً. تقول البطلة إن الإنسان بحاجة لشخص محايد ليروي له الحكاية، ونحن ندرك في آخر الرواية أن التواصل معه كان افتراضياً فقط. هو يمارس مهنة المسرح العلاجي، وهذا ربما ما دفعها إلى أن تروي له. حين نُدخل إنساناً في ماضينا، نشعر أنه قد صار جزءاً منّا. لذلك أنهيت الرواية باحتمال أن يلتقيا، لأنني لو فصلتُ في علاقتهما كنت لأنتقل إلى رواية أخرى. هو رمز لأمل ما في الحب، وحين ظهر في حياتها، لا تعلم إن كانت قد شفيت تماماً. لقد مشت في طريق جديدة وهذا مؤشر إلى أنها تجاوزت الآلام والغرام الذي كان بينها وبين «يوسف». وأذكر أنها في الجملة الأخيرة تقول: «هل في الحب شفاء؟ في الحب احتمالات كثيرة، قد يأتي إليّ يوماً، أو أنا أذهب إليه حتماً... في الحب احتمالات كثيرة».

■ لا تنوه بسمة قيد أنملة عن بوصلة الجمال والحب والأمل رغم المرض والمآسي والحروب. هل تعمدتِ أن تعطينا ضوءاً في قلب هذا الظلام الذي يحيط بنا من كل جانب؟

- أنا دائماً أترك ضوءاً في رواياتي وتعجبني عبارة سعد الله ونّوس «نحن محكومون بالأمل». بالحب والفن والحرية يستطيع الإنسان أن يصل إلى ما يريد تحقيقه. ألا تذكّر جملة «أن الحرية لا تملّ من انتظار من يسير إليها؟» بسمة اختارت الحرية والفن حين خيّرها يوسف بينه وبين هذه الأشياء. هل يقدم الفن خلاصاً ما؟ ربما نشعر اليوم أن الخلاص فردي (إن كان هناك من خلاص) لأننا نعيش خيبات كثيرة. الفن لا يمكن أن ينجاز إلّا إلى بقعة ضوء لكي يستطيع أن ينجو بنفسه من خلال الحكي أو الفعل.. كل هذا الغضب تشهره بسمة بحيث لم أدّع شيئاً مما يسبّب مرض الشخصيات أو عطبها إلا وتحدثت عنه: الغضب حياة والكراهية موت. أنا غاضبة في الرواية ولا بد لهذا الغضب أن يكون تعبيراً عن الضوء. أنيسة أيضاً روائية وربما تولّد لديّ تخييل أنيسة لكي أعكس ضوءاً ما، يتحولها من التحقيقات التي تجريها في الصحيفة بعد شللها جراء صدمة أصابتها بموت حبيبها إلى المقاومة بالكتابة. هي مثلي كلما كتبت كلمة، تآمر رجليها بالوقوف.

■ «الدمعة رحم أمي الذي أنجبتني»، «كانتي أسير على عكازين من هواء»، «الجلد سجل الحياة»... هناك الكثير من الجمل الشعرية في الرواية. هل تلتقي بعلوية صبح الشاعرة في هذه الرواية، خاصة أنّ بداياتك في الكتابة كانت شعرية؟ وهل ينجح الزواج بين الشعر والرواية دائماً؟

علوية صبح: اعتبر القرّاء أني كسرت الصوت الذكوري في الرواية العربية (مروان بوحيدر)

– من عاداتي دائماً أن أعبّر عن قساوة حيوات النساء وأدخل في دهاليز مظلمة أو حتى في حيوات الأبطال العاديين. أجد نفسي لاشعورياً مدفوعة إلى السخرية كي تتلوّن اللغة وتتعدّد الأصوات، ما يخلق طبقات في الرواية كي لا تأخذ طابعاً أحادي النبرة وتسقط في الملل والرتابة. في هذه الرواية، تكابد بسمة الأمّا مزمنة، وفي تجربتي التي تتقابل معها من دون أن يتعلّق الأمر بسيرة ذاتية، ربما الألم الذي عشته هو ما جعلني أكثر شفافية وشاعرية ورقّة. كنت أحياناً أذهب لا شعورياً إلى تعابير يمكن اعتبارها «حالة شعرية» أكثر منها إدخالاً للشعر في الرواية. لقد اشتغلت فيها كثيراً على اللغة وأحياناً كنت أتفاجأ مما أكتبه، فالشعرية هنا في خدمة الرواية لا العكس. هناك أيضاً تأمل في الحب والحياة والزمن. لا يمكن أن أعبّر بلغة واحدة عن عوالم كل الشخصيات أو أن تكون اللغة موحدة في الرواية ككل. لكل شخصية لغتها، ولا بد من توازن ما بين الإقناع والتخييل في رواية ناجحة. وجود مساحات واسعة من الإقناع سمح بالمقابل للتخييل أن يأخذ مداه. يوسف مثلاً شاعر ورسام، وهي ترقص، والشعر يكتسب أهمية فائقة في أدائها. هذه الشخصيات هي كلها في عالم الثقافة والشعر بسطوته ليس غريباً عنها.

■ هل الفنون والكتابة تُداوينا؟ لماذا لم يداوِ الفنّ يوسف، الذي انحاز للتطرف الديني؟

- كل أنواع الفنون ليست فقط علاجاً نفسياً، وإنما الهواء الذي نتنشقه ويُشعر الإنسان بإنسانيته. لقد شفيت أنيسة بالكتابة، وكذلك تدهشنا إرادة بسمة في التدريب على الرقص. أما يوسف - ورغم كونه رساماً، فقد أوصلته الخيبات إلى الانزياح لعالم ظلامي وبات يخاف الموت، هو الذي كان يقول في السابق «الحياة تحوط بالموت يا حبيبتي». أعرف الكثير من المثقفين الذين تحولوا من العلمانية إلى الأصولية، وهذه اللوثة تُبعد الإنسان عن كل ما هو فن وإبداع. لقد غلبه اليأس والانكسار، مع أن بسمة سألته مرة «هل يمكن أن يصبح الفنان أصولياً إذا تديّن؟». فيجيبها بأن الفنان الذي ينحاز إلى الدين، قد يغيّر لوحاته ويرسم الحروفية أو العالم الروحاني. لقد فقد يوسف علاقته بيديه وذلك الإحساس بأنه يرى العالم من أصابعه.

■ هل يوسف فنان بلا هوية؟ وأي رمزية للمشهد الأخير حين تقع منه لوحة بلا توقيع؟

- هو تجسيد للهويات المريضة. يوسف لم ينخرط بالإيمان وإنما تغير من إنسان عبثي وحرّ إلى شخص مغاير. هويّته هنا معطوبة، إذ ليس من إنسان بلا هوية وبخاصة الفنان الذي هويته هي الفن. وقد يجد كل قارئ في المشهد الأخير رمزية ما حين فتح الحقيبة وهو يهلوس لأنه لم يستطع أن ينسى بسمة وأن يتابع الحياة بدون فن. وجدت نفسي لاشعورياً أكتب في مشهد جد تخييلي وهو يفتح يديه وراح يعلو ويعلو ومن ثم انطفأ الضوء ولكن سقطت من يديه لوحة كانت بسمة قد أدّت فيها الرقصة الأخيرة على إيقاع الموسيقى. اللوحة التي وقعت، كانت أجمل ما رسم لكنها كانت بلا توقيع. أترك لكلّ قارئ أن يقرأ المشهد كما يحلو لخياله.

■ في الرواية لوحات فانتازية عجيبة: الجنية التي تُرضع الأطفال وتطعمهم، استحضارك لجداتك السبع ووصاياهنّ، كيف تخدم الفانتازيا الكتابة الروائية؟ وهل توظيف الخيال ضروري في كل رواية ناجحة؟

- لم أتعمّد الفانتازيا. الغرائبية موجودة في الحياة وأنا لا أكتب بمعزل عن الحياة. في بلادنا، فانتازيا غريبة وبخاصة عند الشخصيات الشعبية، وأعترف أن أمي قد قالت لي يوماً أنها رأت الجنية «الصالحة» ترضعني وأنها شفتني أثناء مرضي في الطفولة. أنا ابنة بيئة شعبية مليئة وغنية بالمعتقدات والعناصر الفانتازية، ولكن ذلك ليس مفتعلاً على الإطلاق في كتابتي. قد أكون من بين قلة من الروائيين ممن يهتمون بالمعتقدات الشعبية والإيمان بأشياء غرائبية تجذب للكتابة، وبخاصة حين تُروى بشكل تلقائي على لسان شخصيات شعبية. أما بالنسبة لمشهد الجدّات، فإن القدرة على التخييل هي التي فرضته: تولّد هذا المشهد في لحظة من الألم لم أكد أحتملها، إلى درجة أنني كنت أشعر أن جسدي يزول وأنني أتحول إلى روح خالصة. سألت نفسي ماذا يمكن لجداتي أن يقلن لي في لحظة الهذيان من المهدئات والألم؟ نهضت وأنا أرتجف وكتبت الفصل بشعور حقيقي كما لو أنهنّ حولي وتخيلت أن بسمة ستذهب إلى القابلة التي تعرف أسرار النساء ولا تعرفها. هي فانتازيا، ولكن بشعور حسيّ حقيقيّ عشته. كانت الجدات في المشهد مكمولات، وقلت ليتني أعرف قصصهنّ فقد أعطيتني دفعاً لمقاومة المرض ولأن أحكي حين يقلن «حكايانا تحت التراب والتراب حكايا».

■ في «أن تعشق الحياة»، نفحات صوفية عديدة، من ابن عربي الذي يؤنس البطلة في المشفى في موسكو، إلى استحضار الرقص الصوفي والعشق الذي يتّحد فيه العاشق والمعشوق. هل أنت صوفية الهوى؟ وهل الصوفية بديلة من دين «المشايخ» الذي هاجمته بقوة في الرواية؟

- في لحظات أشعر أنني صوفية لأنني أؤمن بالحب بمعناه الشامل والواسع والصفاء والإيمان لا التدين. لست ضد الدين، فأنا مؤمنة ولكنني لست متديّنة لا سياسياً ولا اجتماعياً، لكني لو قارنت بين دين المشايخ الذين لا يفقهون من الدين شيئاً ويتناسلون ويحتلون الإعلام والفضائيات والعقل والروح، سأنحاز بالطبع إلى الصوفية. هذه اللحظات الصوفية أعيشها منذ أن مرضت. أشعر أن هذا العالم الصافي الجميل والخلاق هو البديل لكل هذا الواقع البشع والتمزق في المذهبيات والعنصريات وكل ما هو لا-إنساني.

■ تحضر الأحداث السياسية في لبنان والمنطقة بقوة في الرواية، وتحاول بسمة في أكثر من موضع أن تصمّ آذانها عن سماع أخبار الذبح والسبي والقباحة. هل يمكننا الفصل بين الحياة والسياسة؟

- عندما تكتب الحياة أو تنغمس فيها بالكتابة، لا بدّ من أنّه ستكون لديك الحرية في التعبير عن كل الأشياء التي فيها. باتت السياسة جزءاً مهماً من حياة الإنسان اللبناني والعربي. لقد أشهرت غضبي من كل ما يحصل في واقع المنطقة، وتألمت وسخرت، لكنّني لم أسمح للإيديولوجيا أن تكون الصوت الصارخ في الرواية. السياسة حضرت من خلال حياة الشخصيات. وعلى المستوى السردي، كان لا بد أن أنطلق مما هو ذاتي إلى ما هو مجتمعي وسياسي، بتسليط الضوء على تجارب «عيسى» الفلسطيني الذي يتحدث بكل صدق عن يومياته مع زعيمه في أحد التنظيمات، و«نزار» وجنونه من الأحزاب التي سبّبت أمراضاً للأفراد والمجتمعات، وفي الحوار بين بسمة ويوسف حول المنعطف الأصولي الذي شعر وهو فيه بالبيت يمتلئ بالبق والعفونة.

■ أقفال تغيرت أشكالها فقط وما زالت هي أيضاً داخل النساء» هل تحسنت وضعية المرأة في العالم العربي أم أنّ خلاص بسمة ورقصها في نهاية الرواية هو خلاص فردي بحت؟

- الجملة هذه جاءت بشكل طبيعي وغير نافر في سياق الحديث عن القفل وعلاقته بالنساء. من المؤكد أن في كل ما أكتب هناك صرخة لحرية المرأة: ليست بالصرخة الإيديولوجية وإنما صرخة من صميم المعاناة والتجارب. بعد الفتاوى وظهور المنظمات الأصولية، أرى أن هناك تراجعاً كبيراً في ما يتعلق بالنساء يضيق عليهن الأفق ويسجنهنّ في أقفاص وأقفال. هناك جيل من النساء الجميلات المتحررات، ولكن بالتأكيد لا يمكن لوضعية المرأة أن تتحسّن ما لم تسنّ قوانين ضامنة لحريتها. حتى الآن، لم نستطع أن نشرع قانوناً ضد تعنيف المرأة في لبنان مثلاً، المشهد العام سيئ إجمالاً ويكفي أن ننظر لفتوى «نكاح الجهاد» وخلفياتها ومفاعيلها الكارثية. الخلاص لا يزال فردياً ومن مهمات العمل الإبداعي، وخاصة في كتابة المرأة، أن يضع الإصبع على ما يكبّل النساء ويجعلهن سجينات. عمل الروائي هو فني في الدرجة الأولى، وليس بحثاً اجتماعياً، وأنا أوظّف كلّ ما يحيط بعالم المرأة من أقانيم، ولكن هاجسي الأساسي يبقى فنياً لأن المعرفة الفنية لا تنفصل البتة عن المعرفة الإنسانية. عندما تقرأ المرأة ما تشعر أنه يعبّر عنها، أنا أكيدة أنها تتغير: أن نرى ذواتنا في العمل الفني لا بد سيحدث تغييراً في حياتنا، ويجعلنا أكثر حرية. الأدب منتج ومنتج، فكما الأدب أو الفن هو ابن الواقع، فكذلك الواقع هو ابن الفن والأدب.

■ هل من وصفة بسيطة برأيك لعلاقة ناجحة بين امرأة ورجل؟

- ليس هناك من وصفة مباشرة كما هو الحال في الطبخ مثلاً، لكني أقول أن أساس أيّ علاقة ناجحة هو أن يعترف أحدهما بالآخر بوصفهما فاعلين وليس أن تكون المرأة مفعولاً بها وجسداً فقط لتفريغ الشهوات.

■ ماذا بعد «أن تعشق الحياة»؟

- عدت إلى كتابة الرواية التي كنت قد توقفت عنها، ولا أستطيع أن أقول شيئاً عنها الآن

ترجمة

بورخيس وإدامة الغامض *

خالد بلقاسم

بين مجموعة بورخيس الشعرية الأولى «حماس بوينوس آيريس»، الصادرة عام 1923، ومجموعته الشعرية الأخيرة «المتآمرون»، الصادرة عام 1985، مسارٌ شعريّ مُتشابكٌ مع مسار سرديّ. تشابكٌ تغذّى دوماً من روافدَ فكريّة كانت ساريةً في مُوجّهات المسارَين اللذَين ظلّت العلاقةُ بينهما مُنطويةً على أسئلتها، وإن غلبَتْ الدراساتُ المُنجَزة عن بورخيس الاهتمامَ بكتاباته النثريّة. فرغم نُدرة الدراسات التي أُنجزتْ عن مسار بورخيس الشعريّ، مُقارنةً بما كُتِب عن مساره النثريّ على نحو غلَبَ صورةَ بورخيس القاصّ، بقي وفاءُ بورخيس للشعر بيّناً من كونه ابتدأ شاعراً و«انتهى» شاعراً، لأنّ بورخيس لم ينفصل إطلاقاً عن كتابة الشعر حتّى وإنْ تخلّلت هذه الكتابةَ فتراتٌ من الصّمت.

تبدّى ارتباط بورخيس المصيري بالشعر من وفائه لهذا الشكل الكتابي حتى اللحظات الأخيرة من حياته. فقد كتبَ مجموعته الشعريّة الأخيرة «المتآمرون» سنةَ قبل وفاته، بما يكشفُ أنّ الشعر لم يكُن البتّة مجرّد لحظةٍ في مسار بورخيس هيّأتْهُ للانتقال إلى لحظة أخرى، ولم يكُن شكلاً كتابيّاً تمّ الانفصالُ عنه بالتحوُّل إلى شكل آخَر، بل كان الوفاءُ للشعر مُندرجاً لديه ضمن رُؤية عميقة عن الأدب بوَجْه رئيس، وعن تعقّد علاقات الأشكال الكتابيّة، وعن الوحدة التي تحكمُ هذه الأشكال حتى وإن بدَتْ مُنفصلةً في الممارَسة النصيّة. إنفصالٌ حاجبٌ، على مستوى الظاهر وحسب، لِما يَحكمُ كتابةَ بورخيس من وشائجَ وصِلاتٍ لا تُرى، لأنّ بورخيس لم يُفرِّط في الخيوط الناسجة لهذه الوشائج والواصلة ضمنيّاً بين الحكي القصصيّ والشعر، بوصفهما الشكلَيْن اللذَيْن مارَسَ بورخيس، على امتداد حياته، الكتابةَ اعتماداً عليهما.

ظلّ الشعر، من داخل هذه الوشائج التي لا تُرى واستناداً إلى تصوّر بورخيس الذي عدّ الشعرَ أسَّ الأدب، بانياً لمسار هذا الأديب الكتابيّ حتى في السنوات التي شُهدتْ صمتَه شعريّاً. إنّه الصمتُ الذي تبدّى، مثلاً، من الفاصل الزمنيّ بين مجموعته الشعريّة الثالثة «دفتر سان مارتن»، الصادرة عام 1929، ومجموعته الشعريّة الرابعة «الخالق»، الصادرة بَعد ذلك بثلاثة عقود، أي عام 1960. من قلب هذا الصمت الشعريّ نفسه، انتظمَت علاقة بورخيس بالقول السامي وفق دائرة كُبرى تحدّدت انطلاقاً من العلاقة بين بداية الكتابة ونهايتها عنده، على نحو ما تكشّف من صلة مجموعته الشعريّة الأولى بمجموعته الأخيرة، كما انتظمَت وفقَ دائرة أصغر احتكّت إلى الصمت الذي جعلَ الشعرَ لا ينفكّ يعود من داخل هذا الصمت نفسه، باعتباره رافداً شعريّاً وحاجةً يتطلّبها الشعرُ ذاتُه. لقد وجّهَ هذا المسارُ الدائريّ علاقةَ بورخيس بالشعر، انطلاقاً من عودة الشعر الدائمة في كتابته. كما جعَل المسارُ هذه العلاقةَ ذاتَها تجلياً من تجلّيات الدوائر التي كان بورخيس شغوفاً بأسرارها، وحوّل نمطَ الارتباط، في هذه العلاقة، إلى مَلمح من ملامح الارتباطات المصيريّة التي عاشها وتأمّلها في الآن ذاته، بصورة لم تكُفّ خُيوطُها، على امتداد مسار حياته، عن العودة والتجدّد.

إلى جانب هذا المسار المُنطوي على أسراره، كان بورخيس يَرى نفسَهُ شاعراً في الأصل، وهو ما عبّرَ عنه في تصريح صحافيّ أدلى به عام 1978، جاء فيه: «شخصيّاً أومنُ بأنّني شاعر. أحسُّ بأنّني قريبٌ جدّاً ممّا أكتبُهُ في علاقة شبه فوريّة، فيما القصص شيءٌ مُعَدٌّ سلفاً مع سَبْق الإصرار. إنّها تتطلّبُ اشتغالاً طويلاً، وبِمُجرّد كتابتها أراها بعيدةً جدّاً، لكنّ الجميعَ يميلون إلى النظر إليّ بوصفي كاتبَ نثر». لقد عدّ بورخيس نفسَهُ شاعراً، وزاوج في كتابته بين الشعر والنثر، على نحو يَسمحُ بالتساؤل عن الحاجة الكتابيّة لهذه المُزاوجة، وعمّا يُحقّقهُ كلُّ شكل كتابيّ فيها لبورخيس، وعمّا يُحقّقه تالُفُهما الصامت في مُمارسته النصيّة، وعمّا تُضمرُه الوشيجة العميقة بينهما. فتصريح بورخيس بكونه، في الأصل، شاعراً يُقابلهُ نزوعُ مُعظم الدراسات عنه إلى تكريسه قاصّاً. ورغم أنّ تعارُض التأويل المُنجَزة عن أعمال المؤلّف مع تصريحه يُعدُّ جزءاً من شريعة القراءة ومن الحقوق الراسخة في الفعل القرائيّ، فإنّ ترجيحَ بورخيس لصفة الشاعر أمرٌ شديدُ الدلالة، وهو ما يفتحُ مسلكاً تأويليّاً غيرَ المسلك الذي يفتحهُ منحى تغليب صفة القاصّ. كما أنّ تأمُّل تجربته الكتابيّة من موقع مزاوَجته بين الشكلَيْن؛ الشعريّ والنثريّ، يشقّ هو ذاته طريقاً ثالثة للتأويل والمُقاربة. وفضلاً عن ذلك، تسمحُ هذه المُزاوجةُ نفسُها بعدّها، من زاوية أخرى، وحدةً تجلّت بوَجهَيْن، وهو ما يفتحُ سبيلاً رابعاً للتأويل. ليس هذا التعدُّدُ في شِعاب القراءة، التي تُتيحها أعمالُ بورخيس، بغريبة عن هذا الأديب الذي ائتُمِنَ، في نُصوصه الإبداعيّة كما في تأمّلاته التأويليّة، على صناعة المتاهات، وعلى المعنى اللامتناهي، وعلى شقّ دروب القراءة التي لا تقودُ إلّا إلى الارتياب.

تويلو بيركولي - «بورخيس» (1987)

عموماً، لقد تحوّلت المُزاوجةُ بين الشعر والسرد، في مُمارسة بورخيس النصيّة، هي أيضاً إلى موضوع للتأويل، إذ أُنجزَت بشأنها تأمّلاتٌ مسّتْ حتى سبَبَ انشغال الدراسات النقديّة بكتابة بورخيس النثريّة أكثر من انشغالها بكتابته الشعريّة. صحيح أنّ ما ترتّب على بعض هذه التأمّلات، وما فتحتْهُ من أسئلة خصيبة وما أثارته من قضايا، انطوى على إشكالات تمسُّ فعلَ مُزاوجة بورخيس، في ممارسته النصيّة، بين شكلَيْن كتابيَّيْن، لكن يبدو أنّ مُقاربة هذا الفعل عنده يُمكنُ أن تنطلقَ في البدء، قبل الإنصات لتفرّعاتها وقضاياها، من العُنصر الموحِّد لمُزاوجة بورخيس بين الشعر والنثر، أي عُنصُر علاقته المصيريّة بسُؤال الأدب؛ أيّاً كان الشكلُ الذي فيه وبه تجلّى الأدب. فمزاوجةُ بورخيس بين الشعر والسرد مشدودةٌ، في العُمق قبل أيّ اعتبار آخَر، إلى افتتانه بالأدب، أي أنّ المُحرّك الأساس لهذه المزاوجة، قبْل كلّ ما يُمكنُ أن يترتّب عليه بنصهرُ الشكلان الكتابيّان ويتفاعلان من داخل تبايُناتهما وفيه تتكشّفُ صلة هذا الأديب بالكتابة قبل تفرّعات المزاوجة في الشكل، اتّخذ تجلّيات عديدة، منها: - شسوع مقروء بورخيس الأدبيّ وتَلازُمُه للكتاب بوصفه ضرورة فيها تماهَت الحياةُ بالقراءة. لعلّ هذا ما قادَ بورخيس إلى عدّ نفسه قارئاً في الأساس، وعدُّ ما قراه أهمَّ ممّا كتبه. لا تعودُ هذه الأهميّة فقط إلى نوع المقروء، الذي تداخلَ فيه الشعرُ بالحكي ضمنَ الانجذاب المُشار إليه، بل تعودُ أيضاً إلى أمرَيْن اثنَيْن كفيلَيْن بتأكيد استحقاق بورخيس صفة القارئ؛ أوّلهما شسوع مقروئه الأدبيّ، وثانيهما الطريقة المتفرّدة التي بها قرأ الأدب، سواء اتجلّى هذا الأدبُ في نُصوص شعريّة أم في نُصوص حكائيّة.

- تنصيص بورخيس على الطاقة المعرفيّة التي ينطوي عليها الأدب؛ شعراً كان أو حكياً. إنّها طاقة تُضاهي الفكر، بل قد تبلغُ مناطقَ لا يبلغُها الفكرُ ذاته. لذلك، كان لافتاً أن يحرص بورخيس في مُحاضراته وأبحاثه ومقدّماته الغيريّة، على الاستشهاد، في الغالب العامّ، بالأدباء والمفكّرين لا بالنقّاد، لأنّ بورخيس خبرَ طاقةَ الأدب المعرفيّ، قراءةً وكتابةً. وبهذه الخبرة المكينة حوّلَ بورخيس الشعرَ والحكيَ حجّةً في إنتاج معرفة عميقة بالقضايا التي عنها كتبَ وبها انشغل، أو عنها ألقى مُحاضرات، أو قدّم بشأنها حوارات.

- إدراك بورخيس أنّ مجهولَ الأدب لا يتكشّف على مُستوى الممارسة النصيّة، اعتماداً على شكل واحد، بل لا بدّ له من أكثر من شكل، لأنّ الذهابَ نحو هذا المجهول لا يُفضي إلّا إلى الشكّ والارتياب. لعلّ أهمَّ ما خلّفهُ بورخيس هو أساساً تلك النبرة الارتيابيّة المُخترقة لكتابته الشعريّة والنثريّة من جهة، والطريقة التي بها صاغ هذه النبرة، من جهة أخرى، حتى ليُمكنُ افتراض أنّ ثمّة، في الأعمال التي خلّفها بورخيس، ظلالاً تنطوي على أسُس مُسعفة في تجميع ما يُتيحُ كتابةُ تاريخ الارتياب. وكمْ سيكون مُفيداً لو تتسنّى كتابةُ تاريخ الارتياب، على غرار الإفادة التي يُمكن تحصيلها من كتابة تاريخ الانتحال، وتاريخ الحسد، وتاريخ الوَهم، وغيرها من التواريخ المُضيئة لمجهول الحياة، ولمُلغز الإنسان، ولأغوار النفس البشريّة. إنّها تواريخ مؤجّلةٌ، ينطوي الأدبُ على جُزء كبير من مادّتها الخصبة. يُعدُّ بورخيس، بحقّ، واحداً ممّن أغنوا المادّةَ التي تتطلّبها كتابةُ تاريخ الارتياب.

- حِرْص بورخيس على عدم التفريق بين شعره ونثره، وهو نفسُه صرّح قائلاً: «أنا لا أفرّق بين شعري ونثري، غير أنّ الآخرين يفعلون». عدم تفريق بورخيس بين شعره ونثره مسلكٌ تأويليّ لأعماله يُضاف إلى تصريحه بأنّه في الأصل شاعر، خصوصاً أنّ التصريح صادرٌ عن قارئ خبرَ الحيَويّةَ الكبرى التي يكتسبها اختيارُ المداخل في التأويل. غير أنّ هذا المسلك لا يَمنعُ المقاربة، كما في الدراسات التي انبنَتْ على هذا التفريق، أن تشقّ سُبُلاً أخرى للتأويل مخالفةً رأيَ صاحب العمل الأدبيّ. لربّما يعود حرص بورخيس على عدم التفريق في مُنجزه الأدبيّ بين هذَين الشكلَيْن الكتابيَّين، وهو أمرٌ شديد الدلالة في هذا السياق، إلى رؤيته الأدب الذي نظرَ إليه دوماً باعتباره قائماً، في الأصل، على وَحدة مكينة بين الشعر والحكي. لقد كان هذان الشكلان، في تصوّره، مُندمجَيْن في البَدء، وهو لذلك يأمَلُ أن يستعيدَ وحدتَهُما في الآتي من الزمن. لعلّ هذا ما سوّغَ انحيازَ بورخيس، مثلاً، إلى الشعر الملحميّ بوصفه قائماً على هذا الاندماج.

- اهتمام بورخيس الفكريّ بسُؤال الأدب ومُمارستُه الكتابةَ اعتماداً على رؤية أدبيّة لا تفصلُ ماهيّتَها عن الفكر، كما لو أنّ قراءةَ بورخيس للنصوص الأدبيّة وكتابتَهُ للأدب لم يَعملا إلّا على تجسير الهُوّة بين الأدب والفكر، بما يُمكّنُ من استعادة وَحدتهما الأصليّة المفقودة والمحجوبة في الآن ذاته. إنّها الوحدة التي حرص بورخيس على إرسائها في نُصوصه القصصيّة وفي نُصوصه الشعريّة أيضاً، وامتدّ أثرُها حتى إلى بناء الشكل الكتابيّ عنده، خصوصاً في كتابته النثريّة التي كانت القصّةُ فيها تُبنى أدبيّتُها بتداخُل مُحكم بين الحكاية والفكر.

- وعي بورخيس بحيَويّة الشكل في بناء النصّ الأدبيّ. فطاقة بورخيس الأدبيّة المُبهرة تُعزى، من بين ما تُعزى إليه، إلى صَوغه شكلاً كتابيّاً ذا وَجهَيْن مُتشابكَيْن إلى حدّ الالتباس، ذلك أنّ التداخل المحقَّق بين وَجْهَي الشكل الكتابيّ مُنتجٌ لبنيّة هذا الشكل، ولقابليّة التفاته نحو صيغتَيْن والتحوُّل من إحداهما إلى الأخرى. وهو ما تحقّق بوجه رئيس في كتابته النثريّة التي كانت تُبنى في نقطة التماسّ بين الحكي والفكر، أي تماسّ الشكل القصصيّ بشكل المقالة البحتيّة. لكنّ نهوض الشكل البَيني على التماسّ بين الحكي والفكر لا يعني أنّ ظلال الشعر لم تكن ساريةً في هذا التماسّ. فمثلما تسمحُ قصصُ بورخيس بقراءتها بوصفها فكراً، تسمحُ، في الآن ذاته، برَصْد سَريان الشعر فيها من خارج شكله المألوف، لأنّ الفكر في قصص بورخيس يقتاتُ الخيالَ بوجه رئيس. لعلّ هذا الأساس هو ما سوّغ، إلى جانب أُسُس أخرى، امتدادَ الفكر في نُصوص بورخيس الشعريّة. نصوصٌ حظيَ فيها الفكرُ بِضيافة الشعر له، بصورة لا تتحقّق إلّا في الشعر وبالشعر، عبْر استعارات مشدودة إلى أنماط أصليّة بعيدة الغور، وعبْر إيقاع فكريّ خبرَ قوّةَ الكلمة في التركيب الشعريّ.

لعلّ هذا الافتتان بالأدب، الذي تماهى لدى بورخيس بمفهوم الحياة ذاتها، هو ما يُحدّد، بوجه عامّ، انجذابَه الكتابيّ المُقسّم بصفةِ «ما لا يُقاوَم». إنّها صفةٌ حاسمة جعلَتْ هذا الانجذابَ مصيريّاً، سواء اتحقّق عبْر الشعر أم عبْر النثر الذي فيه انحازَ بورخيس إلى السرد القصصيّ. لقد ظلّ بورخيس حريصاً، في شعره كما في نثره، على إرساء الملمح الفكريّ للأدب، وإن استأثرَ نثرُه، لا شعره، بالاهتمام الأكبر في الدراسات المنجَزة عنه. لم يكنْ هذا الملمحُ الفكري في مُمارسة بورخيس الكتابيّة سوى عُنصرٍ من العناصر البانية لوحدة الشعر والحكي، حتّى وإن ظهرا مُنفصلَيْن. ومن ثمّ، تسمحُ مُزاوجة بورخيس بين الشعر والسرد باستيعابها من خارج المقارنة أو المُفاضلة، وباستيعابها حتى من خارج مفهوم المزاوجة نفسه، لأنّ الموجّه الصامت، في مُمارسة بورخيس للكتابة، هو الوحدة الخفيّة التي تحكمُ علاقة الشعر بالحكي في منظوره؛ الوحدة التي تجعلُ الأدبَ غناءَ حكايةٍ وجوديّة، حكايةً تُصاغُ بسحر الكلمات وبطاقتها التي عوّل عليها بورخيس كثيرًا. بهذا المعنى، يُمكنُ أن يعثرَ القارئُ على الشعر حتى في نُصوص بورخيس القصصيّة، ما دام الحلمُ والخيال يَخترقان الشكلَيْن الكتابيَّيْن معاً في مُمارسته. فرسوخ الخيال في إنجاز بورخيس للكتابة يجعلُ الحدودَ بين شعره ونثره هشّة، لأنّ تصوّره للأدب وللكتابة محكوم بوحدة مكينة بين الشكلَيْن، ومحكومٌ، على نحو صامت، بنشدان استعادة هذه الوحدة، حتّى وإنْ حرصت الدراساتُ التي تفرّقُ بين شعر بورخيس ونثره على الدفاع عن الاختلاف بينهما. فقد مالت بعضُ التأويل القائمة على هذا التفريق إلى عدّ نُصوص بورخيس الشعريّة تجسيداً لذاته ولرؤاه الشخصيّة ولنظرته إلى الكون، خلافاً لنصوصه النثريّة التي تتضمّنُ أصواتاً عديدة. ورغم رجاحة هذا المنحى في التأويل، الذي قد يُبرز فروقاً بين شعر بورخيس ونثره، تبقى الوشائج المتشابكة بين الشكلَيْن أقوى متى تمّ تأوّلهما من موقع مفهوم الكتابة، ومن موقع الوحدة الخفيّة التي عليها يقوم الأدب في منظور بورخيس، ومن موقع بناء الأدب للفكر؛ البناء الذي إليه انحازَ بورخيس وعملت نُصوصه على ترسيخه. فالكتابة الأدبيّة عند بورخيس تقتاتُ الخيالَ، الذي ظلّ هذا الأديبُ وفيّاً له منذ أن صار الحُلمُ عادته على حدّ تعبيره، وتنتجُ فكراً قادماً من مناطقَ قد لا يبلغُها الخطابُ الفكريّ ذاتُه.

* مقتطفات من مقدمة الجزء الأول (ترجمة خالد الريسوني) من أعمال بورخيس الشعرية، التي ستصدر في ثلاثة أجزاء عن «منشورات الجمل». علماً أنّ أعمال بورخيس جميعها ستصدر عن الدار باتفاق مع أصحاب الحقوق.

«الهِبات»

ترجمة **خالد الريسوني**

لا أحد ينزل دمعةً أو يعاتبُ
على هذا الاعتراف بسُلطانِ
الربِّ، الذي بسخريةٍ بديعةٍ
وهبني الكُتُبَ والليلَ في الآنِ
ذاتِهِ.

أعدَّ لِدينةِ الكتبِ هذه سادةً
هما عينان بلا ضوءٍ، لا
تستطيعان
القراءةَ سوى في مكتبات الأحلامِ
فقراتٍ بلهاءَ تُسلِمُ الأسحارَ
لعنائها، وعبثاً يُغدِقُ عليها
النهارُ كتبَه اللامُتناهيةَ
مُستعصيةً مثل المخطوطاتِ
المتعبة
التي تلاشتْ في الإسكندرية.

من جوعٍ ومن عطشٍ (تروي
حكاية يونانية)
يموت ملكٌ ما بين نافوراتٍ
وحدائقَ.
وبلا غايةٍ أجهدُ أنا تخومَ تلك
المكتبةِ
العمياءِ المُتعاليةِ والعميقةِ.

موسوعاتٌ وأطلس، شرقٌ
وغربٌ، قرونٌ وسلالاتُ ملكيّةٌ
رموز، كونٌ ونشأةُ الكونِ
ترفعُ نخبَها الأسوارُ لكن بلا
جدوى.

مُتمهِّلاً في عتمتي، أستكشِفُ
بُكارَزِي الحائرِ الظّليلَ
الأجوفَ، أنا الذي أتخيلُ
جنةَ الفردوسِ في شكلِ مكتبة.

شيءٌ ما، من المؤكد أنه لا يقعُ
تحت تسميةِ المصادفةِ، يُوَجِّه
هذه الأشياءَ
وشخصٌ آخرُ تلقى في مساءاتٍ
باهتةٍ
أخرى الكتبَ الكثيرة والعتمةَ.

حين أتيهُ عبر الأروقةِ المُتمهِّلةِ
يحدث غالباً أن أحسَّ برُعبٍ
مقدس مُلتبس،
بأني ذاك الآخَرُ، الميتُ الذي كان
قد مشى
الخطواتِ ذاتها وَخلال الأيامِ
ذاتها.

أيُّ مِنّا يكتبُ هذه القصيدة
لأنا بصيغة الجمعِ ولعتمة
واحدة؟
ماذا تهم العبارةُ التي تُسمِّيني
إذا كانتِ اللعنةُ مشتركةً وواحدةً؟

غُرُوسَاك أو بورخيسُ؟ أنظرُ إلى
هذا العالَم
المعشوقِ الذي يتشوَّهُ وينطفئُ
في رمادٍ شاحب وغامضٍ
يشبِهُ الحلمَ ويشبه النسيانَ.

نص

رسالة ووصية إلى أحفادي بعد 100 عام

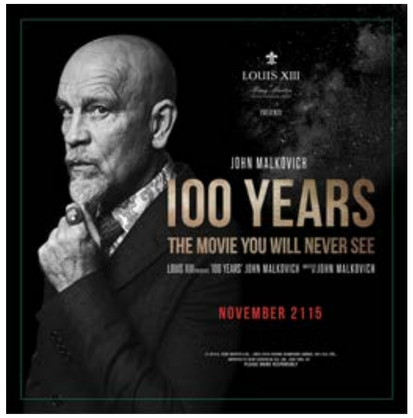

فارس الكامل *

المُلصق الدعائي للفيلم المستقبَلي.
أحفادي الغوالي فلانة وفلان،
لا أعرف ما هي أسماؤكم بالتحديد، ولكنني أعلم جيداً أن جدك أو جدتك سيكون عصام أو قطوف أو دانية أو صبا.
أحفادي الغوالي،
علمت أمس أن ممثّلي المفضل جون مالكوفيتش انتهى من تصوير فيلم سينمائي يسمح بمشاهدته بعد 100 عام.
واشترك في إخراج الفيلم المخرج روبرت رودريغس، حيث بعد الانتهاء من إخراجه تم وضع الفيلم في كبسولة أودعوها مستودع قصر لودوفيك الثالث عشر في فرنسا.
ولم يُكشف أي شيء عن تفاصيل الفيلم، ولكن أصبح معلوماً أنه يتضمّن مشاهد عن المستقبل.
كما رافق إنتاج الفيلم طبع 1000 تذكرة معدنية تسمح لأحفاد الذين يحصلون عليها مشاهدة الفيلم عند عرضه في 2115.
أحفادي الغوالي،
أعرف جيداً أنه لن يكون باستطاعتكم الحصول على تذكرة من هذه التذاكر الألف، لأنها حتماً ستُخصّص للمشاهير أو ستُباع بالملايين في زمانكم، ولكن يمكنكم بعد فترة قصيرة من الانتظار أن تذهبوا إلى أحد أحفاد صباح أبو الأفلام في الكرادة وسط بغداد وتشترون نسخة من الفيلم أو ستُتاح لكم تقنية جديدة في حينها، يمكنكم من خلالها مشاهدة الفيلم كما نفعل هذه الأيام في زماننا، فلدينا التورنت واليوتيوب والفلاش رام.
أحفادي الغوالي،
سأترك لكم هذه الرسالة في كلّ مكان لتصل إليكم بطريقة ما، وسأترك لكم مكتبة كبيرة عن السينما مع أولادي وأشدّد عليهم أن يحافظوا عليها لتصل إليكم إذا أصبح لنا بيت ومستقرّ في يوم ما، وسيكون مع المكتبة هارد ديسك فيه أكثر الأفلام التي أحببتها مع مجموعة من السيديات أرجو أن تكون صالحة للتشغيل في زمانكم، وسأترك لكم أيضاً فولدر خاصاً بأفلام جون مالكوفيتش لتشاهدوا أعماله وخاصّة فيلم «أن تكون جون مالكوفيتش» لأنّ فكرته غريبة وستناسب أيامكم.
أحفادي الأعزاء،
قد يقدم أحد الفضوليين على سرقة نسخة الفيلم الجديد أو قد تسرّب مشاهد منه، أو قد يقدم أحد المجانين على تفجير قصر لودفيك في فرنسا مثلاً، ويتم تخريب الفيلم، وفي هذه الحالة أنتم معفون من تنفيذ هذه الوصية، وتبقى وصيتي الوحيدة هي أن تحبّوا السينما لأنها منحتني أفكاراً نبيلة عن الخير والجمال والحرية، ووسّعت مداركي في عالمنا المغلق.
أحفادي الأعزاء،
أتمنى أن أشاهد الفيلم معكم بعد مئة سنة، ولكن هذا مستحيل عملياً. ومع ذلك، سأكون سعيداً في هذه اللحظة من زمني لو اجتمع أكبر عدد منكم في لحظة مشاهدة الفيلم وتذكرتموني في زمنكم.
سلامي لجميع أحفادي وشكر خاصّ لجميع أحفاد طاقم عمل الفيلم وأبلغوهم بطريقة ما أن جدّكم الأكبر ترك لكم هذه الوصية كما ترك جون مالكوفيتش فيلمه وفنه وشغفه بالسينما لهم وللأجيال القادمة. وسلامي الأخير لأحفاد الفنان الصديق مقداد عبد الرضا والصديق صلاح منسي اللذين بسببهما أحببت السينما وفهمتها أكثر.
وفي الختام أتمنى لكم حياة كريمة خالية من منغّصات حياتنا كالحروب والتطرف والموت، ومليئة بكلّ قيم الجمال.
جدكم فارس عصام الكامل

* البصرة/ العراق

سياسة

حاييم برشيث زابنر: إسرائيل صنعها «جيش الدفاع»

إعداد **زياد منى**

حاييم برشيث زابنر مؤلف كتاب «جيش لا مثيل له: إسرائيل كيان سياسي ملحق بجيش الدفاع» (فيرسو بوكس ـ 2020)، هو سينمائي وباحث مشارك في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية، ووالداه بولنديان من الناجين من المحرقة. يوثّق في هذا الكتاب بدقة نمو مجمع صناعي عسكري محرك رئيس للاقتصاد «الإسرائيلي»، مع عملاء في جميع أنحاء العالم ودعم كبير من الولايات المتحدة، لصالح جيش كيان العدو. كما يبين أن الدور المركزي لذلك الجيش يعني أن سياسة ذلك الكيان الاستعماري ـ الاستيطاني تحدّدها اعتبارات عسكرية، حيث يقوم كل حزب سياسي بتجنيد جنرالات سابقين مرشحين.

«جيش لا مثيل له» يوضح كيف صنع الجيش الصهيوني أمة، شعباً ويتعمّق في فضح الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وعنفه، لأن العنف العسكري عنصر واضح لأيّ استعمار استيطاني المشروع، ومن دونه يستحيل تأسيس الكيان الهدف».

يستطرد الكاتب بالقول إنّ الصهيونية ـ قبل تمكّنها من اغتصاب فلسطين وتأسيس كيانها العنصري ـ قد أصبحت بالفعل عسكرية، بما يتماشى مع استغلال الأساطير التوراتية لدعم اختراع «أمة». لذلك، فإنّ للعدوان جذوراً تاريخية وهو جزء من عملية مستمرّة. «لقد وُلدت العسكرة مصالح مادية لاستمرار الصراع في فلسطين، وأصبحت بالتالي عنصراً حاسماً في المجتمع الإسرائيلي»، بل إنّ الخدمة العسكرية تبدأ قبل الولادة، إذ يشير الكاتب إلى ملصق جيش العدو وهو يظهر جنيناً يرتدي خوذة عسكرية وهو ما زال في الرحم.

تُظهر نظرة على أصول جيش العدو كيف أدت التوصيات المبكرة بالعنف ضد الفلسطينيين كما أوضحها دافيد بن غوريون ورئيف جابوتنسكي إلى ظهور الجماعات الصهيونية شبه العسكرية، مثل الهاغانا والبلماخ، التي تم دمجها لاحقاً في جيش الكيان. وقد مهّدت سلطات الاحتلال البريطاني الطريق لرواد ذلك الجيش لأسس الإفلات من العقاب المنوحة دوماً «لإسرائيل»، وتم اللعب على ذنب المحرقة الأوروبية، حتى عندما توصّل القادة الصهاينة في وقت سابق إلى اتفاقيات مع النازيين لتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين. لذلك ليس من المستغرب، بالنظر إلى مركزية العنف في المشروع الاستيطاني الصهيوني، أن الجيش لا ينفصل عن وعي مجتمعه.

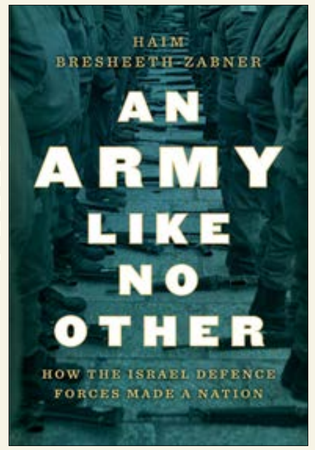

استغلال الأساطير التوراتية لدعم اختراع «أمة»

يستكشف الكتاب أنماط كيفية تطبيع «إسرائيل» للعنف، وغياب الحلول السياسية بهدف تعزيزه، وتطور الجيش والروابط بين الاستعمار الاستيطاني والعسكرة، وعلاقات القوة غير المتكافئة بين المستعمِر والمستعمَر، وتأثيرها العالمي من خلال المجمع الصناعي العسكري. بمثل هذا التأثير الواسع، يطرح المؤلف قضية التلقين السياسي والاجتماعي داخل الكيان. فالدعاية التي بالكاد تميّز بين الجيش والمجتمع، تولد إفلاتاً إضافياً من العقاب يُلاحظ في أعمال الرقابة العسكرية لطمس أدلة الجرائم بحق الفلسطينيين، والمؤسسات المنشأة لحماية الجيش، فضلاً عن مشاركته في الأوساط الأكاديمية. «لم يكن الجيش «الإسرائيلي» أداة للحظة استثنائية من الحرب، بل كان المؤسسة الاجتماعية التأسيسية للدولة الجديدة، والضامن للهوية والوجود». ومع نسب هوية «إسرائيل» ووجودها إلى الجيش، فمن الواضح أن نرى كيف أنشأت الدولة الاستعمارية لنفسها هوية ملفّقة «ما بعد الاستعمار»، وقدمت رواية المظلومية تبريراً للاستعمار الاستيطاني الصهيوني بين مؤيديه. كان استعداد الصهيونية للحرب يتماشى مع خطط السيطرة على كامل الأراضي الفلسطينية، وعدم وجود معارضة شديدة من الدول العربية والمجتمع الدولي سمح بما يصفه حاييم برشيث بأنه «جريمة كاملة - جريمة بلا مجرم».

يقول الكاتب إن الجيش هو «مركز الوجود الإسرائيلي»، وهو ترتيب ينسبه في المقام الأول إلى دافيد بن غوريون الذي قرّر أن مهمّة تشكيل الأمة ذاتها تعود إلى الجيش.

يكتب برشيث زابنر أن الخدمة العسكرية في «إسرائيل» تبدأ «قبل الولادة»، «الهيكل الاجتماعي بأكمله مُعسكَر» إلى درجة أن الجيش والأجهزة المرتبطة به تشكل «مجمعاً صناعياً عسكرياً اقتصادياً سياسياً»، إضافة إلى جانبه الأكاديمي حيث تتعاون سبع جامعات «إسرائيلية» ومراكز بحثية عليا معه والمجتمع الدولي سمح بما يصفه حاييم برشيث بأنه «جريمة كاملة - جريمة بلا مجرم».

يقول الكاتب إن الجيش هو «مركز الوجود الإسرائيلي»، وهو ترتيب ينسبه في المقام الأول إلى دافيد بن غوريون الذي قرّر أن مهمّة تشكيل الأمة ذاتها تعود إلى الجيش.

يكتب برشيث زابنر أن الخدمة العسكرية في «إسرائيل» تبدأ «قبل الولادة»، «الهيكل الاجتماعي بأكمله مُعسكَر» إلى درجة أن الجيش والأجهزة المرتبطة به تشكل «مجمعاً صناعياً عسكرياً اقتصادياً سياسياً»، إضافة إلى جانبه الأكاديمي حيث تتعاون سبع جامعات «إسرائيلية» ومراكز بحثية عليا معه والمجتمع الدولي سمح بما يصفه حاييم برشيث بأنه «جريمة كاملة - جريمة بلا مجرم».

يقول الكاتب إن الجيش هو «مركز الوجود الإسرائيلي»، وهو ترتيب ينسبه في المقام الأول إلى دافيد بن غوريون الذي قرّر أن مهمّة تشكيل الأمة ذاتها تعود إلى الجيش.

يكتب برشيث زابنر أن الخدمة العسكرية في «إسرائيل» تبدأ «قبل الولادة»، «الهيكل الاجتماعي بأكمله مُعسكَر» إلى درجة أن الجيش والأجهزة المرتبطة به تشكل «مجمعاً صناعياً عسكرياً

أندي كلارنو: نظام الفصل العنصري بين جنوب أفريقيا وفلسطين

كثيرة هي المقارنات بين نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا والاستعمار الاستيطاني في فلسطين. ذهب بعضهم إلى «الاحتفال» بالقضاء على الأول، لكن للكاتب الأميركي أندي كلارنو، وهو أستاذ مساعد مادة السوسيولوجيا والبشر الملوثين في جامعة «إلنوي» الأميركية الذي قضى أكثر من عقد في منطقة جوهانسبرغ والقدس، رأي آخر في المسألة. فنراه يقدّم في كتابه «الفصل العنصري النيوليبرالي ـ فلسطين/ إسرائيل وجنوب أفريقيا بعد عام 1994» (منشورات جامعة شيكاغو ـ 2017) دراسة إثنوغرافية مفصّلة عن تداعي الفقراء في بلدة الكسندرا الجنوب أفريقية من جهة، وديناميكيات الاستعمار والتطويق في بيت لحم من جهة أخرى، وكذلك نمو الضواحي المحصّنة والأمن الخاصّ في جوهانسبرغ، ونظام التنسيق الأمني بين الجيش الإسرائيلي والسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية. كما يتناول القيود المفروضة على التحرّر في جنوب أفريقيا، ويسلّط الضوء على تأثير إعادة الهيكلة النيوليبرالية في فلسطين، ويجادل بأن شكلاً جديداً من أشكال الفصل العنصري النيوليبرالي قد ظهر في كلا السياقين. بذلك، فإنّه يقوّض المفهوم الخاطئ الشائع بأنّ ما يسميه إسرائيل/ فلسطين وجنوب أفريقيا سلكتا مسارات متباينة في التسعينيات حيث أصبحت الأخيرة أنموذجاً للحرية والمساواة بعد القضاء على العنصرية. بدلاً من ذلك، فإنّه يوضح بأن تجارب الفلسطينيين الفقراء ومستويات معيشتهم، والسود الفقراء في جنوب أفريقيا محفوفة بالمخاطر وعرضة للعنف والتهميش.

يركّز أندي كلارنو في مؤلّفه هذا على كيفية تقاطع العنصريّة والرأسمالية والاستعمار والإمبراطورية في هيكلة إبقاء الفلسطينيين والسود في جنوب أفريقيا على قيد الحياة، بالكاد، بين الضغوط المزدوجة للاستعمار الاستيطاني والرأسمالية العرقية، ويجادل بأن الشكل الجديد من «الفصل العنصري النيوليبرالي» يتميّز بعدم المساواة الشديدة والتهميش العنصري و«الأمننة» المتقدّمة والأزمات المستمرة، وهو ما يصف الأنظمة الحاكمة في كل من جنوب أفريقيا ما بعد الفصل العنصري وفلسطين/ إسرائيل ما بعد أوسلو، مع عواقب وخيمة على الفلسطينيين العاديين والبشر السود في جنوب أفريقيا.

وقد اعتمد الكاتب في تحليلاته على مزيج من علم الاجتماع التاريخي المقارن والإثنوغرافيا الحضرية المقارنة، وانهمك الكاتب في أكثر من ثلاث سنوات من البحث الإثنوغرافي والأرشيفي عبر كلا الموقعين الميدانيين، إضافة إلى أكثر من مئتي مقابلة.

نظّم الكاتب مؤلّفه وفقاً لوضوعين رئيسيَّين يشكّلان نظريته للفصل العنصري النيوليبرالي: أولاً، التهميش وعدم المساواة، والثاني الأمننة والأزمة. يبدأ المؤلّف بنظرة عامة على تاريخ الاستعمار الاستيطاني والرأسمالية العرقية في كلا الموقعين، مع التركيز تركيزاً خاصّاً على الانتقال النيوليبرالي بعد التسعينيات من الاقتصاد الفوردي العنصري الذي حدث في فلسطين/ إسرائيل وجنوب أفريقيا. بعد ذلك، ينتقل في الفصلين الثاني («الكسندرا: هشاشة الفقراء» والثالث «بيتلحم: استعمار نيوليبرالي») إلى استكشاف عمليات عدم المساواة والتهميش في جنوب أفريقيا وفلسطين/ إسرائيل، ويُجري مقارنة بين العمالة في الكسندرا، حيث يتم احتواء السود المهمّشين من جنوب أفريقيا داخل «غيتو من الإقصاء»، بينما يتعامل سكان بيت لحم مع المحاولات النيوليبرالية لاحتواء السكان المستعمَرين من خلال الأحياء الثرية في ساندتُن قوات الأمن الخاصة لشن حرب عصابات منخفضة الكثافة ضد الدخلاء السود المحتملين، بينما ناقش في الفصل الخامس (احتكار العنف؟: التنسيق الأمني في الضفة الغربية) ارتباط ممارسات الأمننة المماثلة في فلسطين/ إسرائيل، بالمشاريع الإمبريالية الأميركية في الشرق الأوسط. يسلّط كلارنو الضوء على الحياة اليومية للعمال ذوي الأجور المنخفضة الذين يعملون في هذه الأنظمة الأمنية، ومع ذلك يتم استقطابهم من السكان الذين تستهدفهم ممارسات الأمن هذه. تكشف التجارب المتناقضة لهؤلاء الرجال السود في جنوب أفريقيا وقوات الأمن الفلسطينية عن كلّ التوترات وعدم الاستقرار في المشاريع الرأسمالية الاستعمارية والعرقية الاستيطانية وتستحق مؤلفاً خاصاً بهم. يختتم كلارنو حديثه بـ «توضيح مفهوم الفصل العنصري النيوليبرالي، بحجّة أن التركيز المفرط على التعريف الدولي للفصل العنصري يتجاهل الأعمال المستمرّة للرأسمالية العرقية، ما يساعد على تفسير سبب أن انتهاء الفصل العنصري داخل دولة جنوب أفريقيا» لم يغيّر بالكامل حياة السود في جنوب أفريقيا مثل أولئك الذين التقى بهم في الكسندرا.

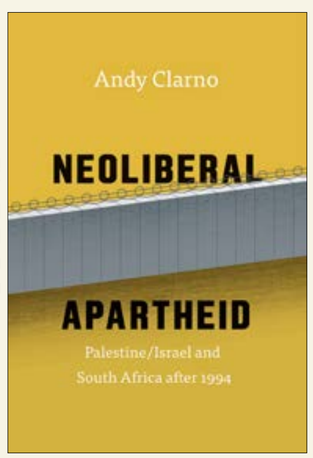

يضيء على تأثير إعادة الهيكلة النيوليبرالية في فلسطين

أخيراً، يلفت الكاتب نظر القرّاء إلى أنه خارج جنوب أفريقيا وفلسطين/ إسرائيل، من الشائع الآن مواجهة جوانب الفصل العنصري النيوليبرالي في المدن والدول والمناطق في جميع أنحاء العالم. وقد أدّت مجموعات من الليبرالية الجديدة والاستعمار إلى عدم المساواة (غالباً مع ما يشبه المساواة)، والتهميش والأمننة والأزمات. وتعتمد أنظمة الفصل العنصري النيوليبرالية، من إمبراطورية الولايات المتحدة إلى النخب المحلية، على العنف للحفاظ على سلطتها في مواجهة عدم المساواة والتهميش العنصري غير المسبوق. وعلى الرغم من انتشار قوات الأمن، إلّا أنّ هذه الأنظمة لا تزال محفوفة بعدم الاستقرار. يمكن أن يسهم فهم طرق تورّط فلسطين/ إسرائيل وجنوب أفريقيا في هذه العمليات العالمية في تكوين حركات أوسع ضد الفصل العنصري النيوليبرالي العالمي.

Neoliberal Apartheid: Palestine/Israel and South Africa after 1994- University of Chicago Press

نورا مراد: فلسطين بعين أجنبية

نورا لستر مراد محرّرة كتاب «وإذ بي في فلسطين» (منشورات أوليف برانش ـ 2020) الفريد كتبت: «لقد تبلورت فكرة هذا المؤلف أثناء تناول فنجان من القهوة في رام الله، وعملية إتمامه لم تكن علمية أو صارمة. لقد تواصلت مع أشخاص من مختلف أنحاء العالم متزوجين من فلسطينيين، أو عاشوا في فلسطين لفترة طويلة، أو لديهم خبرة طويلة وعميقة في ما يتعلق بفلسطين، فوجدت نفسي أبحث عن نوع معين من «الأجانب»، النوع الذي يدرك أنه في ظل العديد من الفلسطينيين يعني «الذين يستفيدون من معاناتهم». أشير إلى هؤلاء المتخصصين في المساعدة الدولية والدبلوماسيين الذين تحركهم الاهتمامات المهنية أكثر من التضامن. إنهم يثيرون غضب الفلسطينيين. لكني أردت في المقابل تسليط الضوء على قصص الأجانب الذين عملوا بجدّ وبتواضع وصدق لأجل الفلسطينيين ومعهم. هم نوع مختلف من الأجانب الذين يمكن أن يصبحوا جزءاً من المجتمع الفلسطيني ويتغيرون بواسطته. بعض من دعوته اعتذر عن عدم المشاركة وقال: على الفلسطينيين التحدث عن أنفسهم. لكنهم ساعدوا بإعتذارهم هذا في تشكيل رؤية المشروع واتجاهه. «وإذ بي في فلسطين» ليس مؤلفاً عن فلسطين، وإنما مجموعة من تأملات غير فلسطينيين تعتبر قصصهم أيضاً هدية من هذا المكان».

وجهات النظر الـ 22 الممثلة في هذا المؤلف تعكس آراء كُتّابها، وهي مجموعة معبرة وغنية بالمعلومات وماساوية ومناصرة ومدهشة وعالمية، لكنها لا تستطيع أبداً رسم صورة كاملة. تجارب الأجانب تتغير باستمرار، والمحررة نورا مراد تقول: «لا أستطيع أن أتخيل فلسطينياً يقول اليوم: إن الإغلاق أو حظر التجول هو خطئي لأنني أميركية، مع أنه بالتأكيد أكثر صحة اليوم مما كان عليه في أي وقت مضى. لقد عانى الفلسطينيون عقوداً من الاستهداف على أيدي الأجانب، لكنهم شهدوا أيضاً عقوداً من التضامن». «وإذ بي في فلسطين» مجموعة من الروايات من مختلف القارات التي تستكشف مفهوم كونك أجنبياً في ما يتعلق بفلسطين، جنباً إلى جنب مع الشعب الفلسطيني الذي يتم تصويره على أنه أجنبي في أرضه. بالنسبة إلى الفلسطينيين، للغربة معانٍ مختلفة. المستوطنون هم الأجانب الذين يشاركون في سرقة فلسطين ويجعلون الفلسطينيين أجانب من خلال التهجير. هناك أيضاً الأجانب الذين يتعاملون مع الشعب الفلسطيني، وكذلك «الأجانب المحترفون الذين يأتون إلى هنا ويبنون وظائف على حساب نضالنا».

يجمع المؤلف مجموعة من القصص من أشخاص تتشابك حياتهم مع حياة الشعب الفلسطيني بطرق مختلفة. ومحررته، نورا لستر مراد، وهي أميركية متزوجة من فلسطيني، كتبت في مقدمتها «الفلسطينيون مجتمع منفي، لكن الكُتّاب الذين ظهروا في هذه المجموعة ليسوا كذلك»، وتشرح كيف بيّنت مجموعة الروايات المباشرة عن الأجانب للفلسطينيين «ليصبحوا جزءاً من المجتمع الفلسطيني ويتغيروا بواسطته».

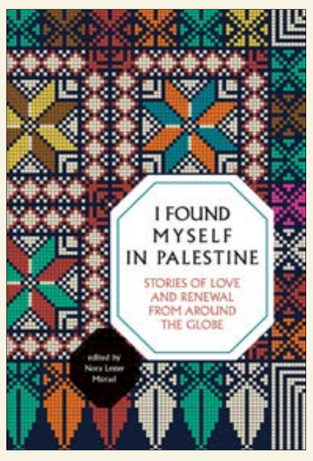

قصص الأجانب الذين عملوا بجدّ وبتواضع وصدق لأجل الفلسطينيين ومعهم

تم سرد تجارب مختلفة في هذا المؤلف. يعتزّ البعض بالتقاليد والالتزامات الاجتماعية للانضمام إلى عائلة فلسطينية. بالنسبة إلى الأجانب الآخرين الذين يتزوجون من عائلات فلسطينية، يُنظر إلى التقاليد على أنها خانقة ومتناقضة مع ثقافة وطن آخر.

على سبيل المثال، تقول البوليفية كورينا مامياني، التي تعيش في فلسطين منذ 25 عاماً: تُرتبط التقاليد والثقافة بالضغط الاجتماعي. لكن سميرة الصفدي، وهي المانية من أصل فلسطيني، تتماهى مع فلسطين وكونها فلسطينية على مدى فترة طويلة من الزمن. «لا أستطيع أن أقول إنني فلسطينية عندما لا أشعر أنني كذلك». بالنسبة لها، لم تكن الثقافة الموروثة هي التي روّجت للهوية، بل بالأحرى تجربتها في العيش في فلسطين والاجترار حول هذه الفترة بعيداً عن فلسطين في بلغاريا. «العيش في فلسطين له معنى الآن. إنه يعني صموداً ومقاومة».

تجربة معاكسة تماماً لتجربة فلسطين من المنفى قدمتها الفلسطينية التشيلية نادية حسن، التي شكل سعيها للعودة إلى وطنها بعد تجربة في الجامعة معنى لمفهوم «العودة». بعد العديد من المحن، تمكنت من جعل فلسطين منزلها. في أوقات أخرى، تؤكد العادات والتوقعات المجتمعية الفلسطينية الغربة، كما في حالة زينة، وهي امرأة سودانية متزوجة من أرمل من الولايات المتحدة. تقول عن دورها المهني في عيادة السرطان: «إنهم يرون في مقدمة رعاية، وامرأة، وأم أخرى تشعر بالمهم». بالنسبة للأشخاص الذين لم تطأ أقدامها فلسطين أبداً، والذين تعتمد معرفتهم أساساً على الأخبار والتحليلات، فمن السهل بناء مفهوم محدود عن الفلسطينيين وماهية فلسطين. من خلال روايات مثل هذه، أصبحت إنسانية السكان المستعمَرين ملموسة، ولم يعد يُنظر إلى الفلسطينيين على أنهم بند في الأخبار أو جدول الأعمال الدبلوماسي فقط.

I Found Myself in Palestine: Stories of Love and Renewal from around the Globe- Olive Branch Press 2020

دَمْيَن شورت: إعادة تعريف الإبادة الجماعية

تُعرف الإبادة الجماعية تاريخياً بأنها القتل الجماعي المنظّم لمجموعة من الناس، لكنها في الواقع ظاهرة دقيقة ومعقّدة للغاية. في كتابه «إعادة تعريف الإبادة الجماعية: الاستعمار الاستيطاني والموت الاجتماعي والإبادة البيئية» (زِد بوكس ـ 2016)، يعيد الكاتب، دَمْيَن شورت، التفكير منهجيّاً في كيفية وصف الأوساط الأكاديمية حالياً للإبادة الجماعية وكيفية وجوب تحديدها مستقبلاً، ويحاول سدّ ما يسمّيه «الصلة بين الإبادة الجماعية والإبادة الجماعية البيئية» من أجل تقديم مفهوم أكثر قوّة للإبادة الجماعية في اللحظة الحالية لتغيّر المناخ العالمي.

كما يسعى إلى توسيع فئة الإبادة الجماعية لتشمل «الإبادة الجماعية الثقافية» التي لا يمكن فصلها عن تدمير مجموعة اجتماعية، خاصّة في ما يتعلق بآثار الإبادة الجماعية المستمرّة للاستعمار الاستيطاني. الكاتب، وهو بروفسور متخصّص في مادة حقوق الإنسان ومدير «اتحاد حقوق الإنسان»، يعتمد أساساً على أعمال رفائيل لمكين، الذي غالباً ما يُشار إليه على أنه مؤسّس «اتفاقية الأمم المتحدة للإبادة الجماعية»، ويسلّط الضوء على «الطابع الاستعماري المتأصل للإبادة الجماعية» والطرق التي يتمّ بها تنفيذها عبر الدمار البيئي الذي تتأثر به الفئات الاجتماعية الضعيفة والمحرومة والمستعمَرة، ومركّزاً على قضايا الساعة التي لم تتم مناقشتها على نحو معمّق مثل فلسطين وسريلانكا وأستراليا ورمال القطران في البرتا/ كندا، من خلال الفحص المكثّف لقضايا الساعة، كالتكسير الهيدروليكي والتدمير البيئي ومستوطنات الضفة الغربية. كما يكشف عن الأدوار الرئيسة التي يؤدّيها الاستعمار الاستيطاني والرأسمالية والموارد المحدودة والأزمة البيئية في دفع الموت الاجتماعي للإبادة الجماعية على نطاق عالمي.

يستكشف الكاتب هذه الرابطة الأكبر من خلال سلسلة من أربع دراسات تقع أول اثنتين في سياقات زمن الحرب، بينما تقع الدراستان الأخيرتان في سياقات «زمن السلم». فصل دمين شورت عن فلسطين الذي شاركت في تأليفه هيفاء راشد، يربط النقاط بين «إسرائيل» كمشروع استعماري استيطاني، ومصادرتها للأراضي الفلسطينية والضرر المتعمد الذي لحق ببيئة فلسطين (مثل تصريف النفايات غير المعالجة)، وهجماتها على الممارسات الثقافية الفلسطينية. الفصل الخاص بسريلانكا الذي شارك في تأليفه مع فيناي براكاش، يركز في المقام الأول على الصراع العنيف بين السكان السنهاليين والتاميل. كما يوضح كيف أصبحت أجندة «التنمية» لما بعد الحرب «الأساس المنطقي المفضّل لعمليات الترحيل السكاني المعاصرة وهو سبب النزوح الكبير لشعب التاميل من أراضيه وتدمير سبل عيشه»، ما يشكّل شكلاً من أشكال الإبادة الجماعية في حدّ ذاته.

يكشف عن الأدوار الرئيسة التي يلعبها الاستعمار الاستيطاني والرأسمالية

الفصلان التاليان يتوسّعان في هذا الموضوع أولاً بدراسة علاقات الحكومة الأسترالية بمختلف مجموعات السكان الأصليين وبتطرقان إلى تاريخ المذابح التي قادها المستوطنون بإيجاز. بدلاً من ذلك، يركز الكاتب على السياسات الحديثة مثل قانون الاستجابة لحالة الطوارئ في الإقليم الشمالي لعام 2007 والذي تضمن إجراءً إلزامياً لحيازة الأراضي كان من شأنه أن يفتح أراضي السكان الأصليين لاستغلال الموارد على نطاق واسع. كما يلاحظ الكاتب أنه على الرغم من أن الموت الاجتماعي للإبادة الجماعية قد ينتج من دون وجود نيّة محددة للتدمير، وبغض النظر عن الدوافع الكامنة، فمن المؤكّد أن المصادرة القسرية للممتلكات متعمدة، وممارسة السيطرة القسرية على حياة الناس متعمدة، والتحركات لإجبار الناس قسراً على ترك أوطانهم المقدسة متعمّد. أخيراً، يحلل دَمْيَن شورت (مع مؤلفه المشارك جينيفر هوسمان) استغلال رمال القطران الواقعة في شمالي ألبرتا، ويصف هذا الاستغلال بأنه إبادة جماعية مستمرة موجهة ضد الجماعات الأصلية التي تعيش هناك، من خلال الاستيلاء على أراضيهم وتسميم أجسادهم. كما يجادل الكاتبان بأن هذا التطور يشكّل إبادة جماعية محتملة ضد الإنسانية بشكل عام، بالنظر إلى أن استخراج قطران الرمال وحرق نفطها، سيدفعان، وفقاً لأحدث الدراسات، تغير المناخ العالمي إلى ما بعد «نقطة اللاعودة».

نقطة أخيرة وجب لفت الانتباه إليها أن المؤلّف يكشف عن الأدوار الرئيسة التي يؤديها الاستعمار-الاستيطاني والرأسمالية والموارد المحدودة والأزمة البيئية في دفع الموت الاجتماعي الإبادي الجماعي على نطاق عالمي. هذا العمل يؤكّد أهمية أن إعادة تعريف الإبادة الجماعية قراءة أساس للطلاب والباحثين في دراسات الإبادة الجماعية.

Redefining Genocide: Settler Colonialism, Social Death and Ecocide - Zed Books

أوراق

حافظ آبرو ــ «الحج: رحلة لملاقاة الإله» (حبر وألوان مائية وذهبية على ورق ـ حوالى عام 1425)

سيناريو الإسلام والحرب البيزنطية الفارسية

زكريا محمد *

تشكل الإسلام في بداياته داخل الإطار الزمني للحرب الفارسية البيزنطية الأخيرة التي امتدّت على مدى 26 عاماً (602- 628 م). فقد حصل حدث البعثة النبوية (610 م) داخل الإطار الزمنيّ لهذه الحرب. ليس ذلك فحسب، بل إنّ هناك احتمالاً أن يكون الرسول قد حضر مشهداً من مشاهد هذه الحرب في سوريا، بناء على نقش عُثر عليه في جبلة في شمال سوريا. وكنت قد تحدّثت عن هذا النقش في مادة نشرتُها سابقاً في ملحق «كلمات» في «الأخبار». «النقش يقول (أنا محمد رسول الله)» إذا صحّت نسبة هذا النقش للرسول، فهو يعني أن الرسول كان في سوريا، وكتب هذا النقش على باب مغارة قرب جبلة.

ووجود الرسول في جبلة أمر غريب إلى حدّ ما. فقوافل مكة كانت تتّجه إلى أذرعات ودمشق، ثم تعبر إلى غزة مارة بالخليل والقدس. لذلك، افترضت أنّ تغيّر المسار نتج عن الحرب الفارسية البيزنطية. فقد احتلّ الفرس دمشق عام 913، والقدس عام 614. ويبدو أنّ الحرب فاجأت الرسول وقافلة مكة وهم في أذرعات (درعا) أو في دمشق، ما أجبرهم على السير شمالاً إلى جبلة لا جنوباً إلى غزة. وفي جبلة وضع الرسول توقيعه على باب مغارة جبلة.

وعلى إثر هذه الواقعة المفترضة، وبعدما عاد الرسول إلى مكة، نزلت سورة الروم: «ألم. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين الأمر لله من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم» (الروم 1-5). بذا، فهذه السورة نزلت في حدود عام 614. ويبدو أنّ الرسول وجد أصحابه المستضعفين في مكة حزانى لهزيمة الفرس، فنزل الوحي بسورة الروم ليعزّيهم ويقوّيهم. بالتالي، فسورة الروم هي النتيجة المباشرة للهجوم الفارسي على الشام. وغالبية المصادر العربية تميل إلى أن جملة «أدنى الأرض» تشير إلى الشام، وإلى مدينة أذرعات على وجه الخصوص.

وإذا تقدّمنا في الزمن قليلاً إلى الأمام، فإنّه يمكن ملاحظة أن الهجرة النبوية حصلت عام 622 ميلادية. وهذه هي السنة التي بدا فيها أن الإمبراطورية البيزنطية كانت على وشك الانهيار التام تحت ضربات الفرس. وهو ما قد يشير إلى أن الضغط المكي على المسلمين ربما كان قد تصاعد مع الانتصارات الفارسية، الأمر الذي أدّى إلى الهجرة إلى يثرب. وهو ما يعني أن مكة كانت، وبشكل ما، ترى النبي حليفاً لبيزنطة. وليس هذا غريباً. فالهجرة الإسلامية الأولى اتّجهت إلى الحبشة المسيحية حليفة بيزنطة المسيحية.

غير أن الروم البيزنطيين استعادوا تماسكهم بعد مجيء هرقل عام 622 م. فبعد عامين من مجيئه، أي في عام 624، هاجم البيزنطيون الفرس في عقر أراضيهم، واستولوا على أذربيجان (ميديا) ودمروا المعبد المجوسي الكبير، ردّاً على تخريب كنيسة القيامة. وكما نعلم، فإنه في هذا العام، عام 624، حدثت معركة بدر، التي بدأت بمبادرة المسلمين. لقد حاولوا أسر قافلة قريش بقيادة أبي سفيان، ما أدى إلى اندلاع المعركة مع مكة. وهو ما قد يشير، وبشكل ما، إلى أن المسلمين ربما كانوا على علم بالتطورات الإقليمية، أي على علم بهجوم البيزنطيين على الأراضي الفارسية وانتصاراتهم هناك. ليس هناك أخبار عن ذلك، لكن المنطق يدفع إلى افتراضه.

> قوة المسلمين بعد فتح مكة، أدى في ما يبدو إلى إقلاق البيزنطيين

وفي عام 625، حصلت معركة أحد التي انتصرت فيها مكة على المسلمين. لكن المعركة لم تستطِع أن تغيّر توازنات القوى. كما أن جيش مكة لم يتابع المعركة رغم انتصاره. ويبدو أن مكة كانت فقط تريد تثبيت التوازنات انتظاراً لما سيأتي به المشهد الإقليمي البيزنطي- الفارسي. وفي عام 628، حدث الانتصار الأعظم للبيزنطيين في نينوى حيث جرى تدمير الجيش الفارسي، ثم استولى البيزنطيون على المدائن. وفي هذا العام ذاته، أي عام 628، حصل «صلح الحديبية». فهل كان للانتصار البيزنطي دور في جعل هذا الصلح ممكناً؟ أظنّ أن هذا محتمل. ويؤيّد هذا الاحتمال وجود خبر عن أبي سفيان يقول بأن خبر هزيمة الفرس في نينوى وصل إلى أهل مكة في الحديبية. وهذا أمر شديد الأهمية.

لكن يبدو أن المسلمين لم يعرفوا بأمر الهزيمة، وهو ما مكّن أبو سفيان من الحصول على صلح متوازن ومناسب له. ولو كان المسلمون يعرفون، لكان فتح مكة قد حصل في ذلك الوقت ربما، ولكان لرافضي الصلح، مثل عمر بن الخطاب، اليد العليا.

إذا صح هذا، يمكن القول، وبشكل ما، إن مصير مكة تقرّر فعلياً في نينوى عام 228 م. فبعد سنتين، سرعان ما ألغى المسلمون معاهدة الصلح إثر خطأ من حلفاء مكة. ويبدو أنهم كانوا متشوّقين لفعل ذلك بعدما تعرّفوا على التوازنات التي نشأت في نينوى. لقد دام الصلح سنتين فقط، ومع نهايته فتح المسلمون مكة. التوافق الزمني الذي تتبعناه قد يعني أمراً رئيسياً واحداً: من غير الممكن فهم الصراع بين وثنية مكة وتوحيد الإسلام في يثرب من دون ربطه بالحرب الأخيرة بين الفرس والبيزنطيين. لقد كان هذا الصراع المحلي مرتبطاً بالبعد الإقليمي، وإن كنا لا نمتلك حتى الآن الوثائق الكافية للبرهنة عليه.

لكن علينا الانتباه إلى أن اتّضاح قوة المسلمين بعد فتح مكة، أدى في ما يبدو إلى إقلاق البيزنطيين، الأمر الذي دفعهم في ما يبدو إلى تجميع القبائل العربية على حدودهم لتطويق الإسلام. ولعل هذا هو السبب الذي جعل الرسول يوجه الغزوات (الإقليمية) الإسلامية الأولى نحو البيزنطيين الأقوياء لا نحو الفرس الضعفاء. لقد انهار شهر العسل الإسلامي البيزنطي سريعاً جداً.

وهذا كله سيناريو بحاجة إلى جهد ووثائق للبرهنة عليه.

* شاعر فلسطيني